


3 1197 23820 4595
BRIGHAM YOUNG UNIVERSITY

هذا الكتاب الشفا في تعريف
حقوق المصطفى صلى الله
عليه وسلم للإمام الحبر البحر
العلامة القاضي عياض
غفر الله له
ولجميعهم

وحل في حيازة كاتبه الفقير
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى

الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر

لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل

شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم

رسولا من انفسهم عربا وعجما وازكاهم

محتدا ومنما وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما

وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة

ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما

واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا

واذانا صما فامن به وعزره ووقره ونصره من جعل

الله له في مغنم السعادة قسما • وكذب به وصدف عن اياته
من كتب الله عليه الشقاء حتما • ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى • صلى الله عليه وعلى اله وسلم •
صلوة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق
الله قلبي وقلبك بانوار اليقين • ولطف لي ولك بما
لطف به لاوليائه المتقين • الذين شرفهم الله بنزل
قدسه • واوحشهم من الخليقة بانسه • وخصهم
من معرفته • ومشاهدة عجايب ملكوته • واثار قدرته
بما ملاء قلوبهم حبرة • وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم
بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته
وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السوال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة
والسلام • وما يجب له من توقير واكرام • وما
حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر • او
قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر • وان اجمع
لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه •

بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من
ذلك امرا امرا • وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا • و
ارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا • ملاء قلبي رعبا •
فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول • وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقايق • مما
يجب للنبي ويضاف اليه • او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة • و
خصائص هذه الدرجة العلية • وها هنا مهامه فيح
يحار فيها القطا • وتقصر بها الخطا • ومجاهل تضل
فيها الاحلام • ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومضاحض
تزل بها الاقدام • ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد
لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب •
من نوال وثواب • بتعريف قدره الجسيم • وخلقه
العظيم • وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
• ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا • ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام
ابن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الحسين •

ابن

ابن محمد ثنا ابو عمر التمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا
موسى بن اسمعيل ثنا حماد نا علي بن الحكم عن عطاء
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت
الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدية من ذلك الحق
المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنه الذى
ابتلى بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد
حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان
خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله
فليس ثم سوى خضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان
عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح
يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى
زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت
تفصيله وانتخبت حصره وتحصيله ترجمته

بالشفاء • بتعريف حقوق المصطفى • وحصرت الكلام
فيه فى اقسام اربعة القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى
لقدر هذا النبى المصطفى • صلى الله عليه وسلم • قولاً
وفعلا • وتوجه الكلام فيه فى اربعة ابواب الباب
الاول فى ثناء تعالى عليه • واظهاره عظيم قدره
لديه • وفيه عشرة فصول الباب الثانى فى تكميله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا • وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا • وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين
من كرامته • وفيه اثنى عشر فصلا الباب الرابع •
فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه
الصلوة والسلام • ويترتب القول فيه فى اربعة ابواب
الباب الاول • فى فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته • وفيه خمسة فصول الباب الثانى
فى لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث فى تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة

فصول

فصول الباب الرابع • في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض
ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث • فيما
يستحيل في حقه وما يجوز عليه • وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر
الكتاب • ولباب ثمرة هذه الابواب • وما قبله له
كالقواعد والتمهيدات • والدلائل على ما نورده فيه من
النكت البينات • وهو الحاكم على ما بعده • والمنجز من
غرض هذا التاليف وعده • وعند التقصي لموعدته •
والتفصي عن عهدته • يشرق صدر العدو اللعين • ويشرق
قلب المؤمن باليقين • وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر
العاقل النبي حق قدره • ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الاول فيما يختص بالامور الدينية • ويتشبث به القول
في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله
الدنيوية • وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية •
وفيه تسعة فصول القسم الرابع • في تصرف وجوه الاحكام
على من تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام • وينقسم الكلام
فيه في بابين الباب الاول • في بيان ما هو في حقه سب •
ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته •

والصلوة عليه وورانته • وفيه عشرة فصول • وختمناه
بباب ثالث • جعلناه تكملة • لهذه المسئلة • ووصلة للبابين الذين
قبله • وحكم من سبّ الله تعالى وملائكته ورسله وكتبه وال •
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول • وبتمامها ينجز الكتاب • وتتم الاقسام والابواب
وتلوح في غرة الايمان لمعة منيرة • وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس • وتوضح كل تخمين وحدس • ويشف صدور
قوم مؤمنين • وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين • وبالله
تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول • في تعظيم العلي الاعلى
لقدر هذا النبي المصطفى • صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا •
لاخفا على من مارس شيئا من العلم اوخص بادنى لمحة من فهم •
بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لاتنضبط لزمام • وتنويهه
من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام • فمنها ما صرح به
تعالى في كتابه • ونبه به على جليل نصابه • واثنى به عليه من
اخلاقه واذابه • وحض العباد على التزامه • وتقلد ايجابه •
فكان جل جلاله • هو الذي تفضل واولى • ثم طهر وزكى •
ثم مدح بذلك واثنى • ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى • فله
الفضل بدأ وعودا • والحمد اولى واخرى • ومنها ما ابرزه

للعيان

للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال • وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة • والاخلاق الحميدة • والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة • وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين
الواضحة • والكرامات البينة التى شاهدها من عاصره
ورآءها من ادركه • وعلمها علم يقين من جاء بعده • حتى
انتهى علم حقيقة ذلك الينا • وفاضت انواره علينا •
صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضى الشهيد ابو على الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله قراءة منى عليه • ثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار • وابو الفضل احمد بن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادى • ثنا ابو على السنجى • ثنا
محمد بن احمد بن محبوب • ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ
ثنا اسحق بن منصور • ثنا عبد الرزاق • انا معمر عن قتادة
عن انس بن مالك • ان النبى صلى الله عليه وسلم • اتى
بالبراق ليلة اسرى ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له
جبريل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول • فى ثنائه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم • ان فى كتاب الله
العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله
عليه وسلم • وعد محاسنه وتعظيم امره • وتنويه

الترمذى

قدره ● اعتمدنا منه على ماظهر معناه ● وبان فحواه ● وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول ● فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ الاية قال السمرقندي وقراء بعضهم من انفَسِكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون ● مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد ● باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم ● اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ الاية وفي الاية الاخرى هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْاُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ الاية وقوله كَمَا اَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ الاية وروى ● عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام

قال القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله تعالى

في قوله

فى قوله تعالى مِنْ انفُسِكُمْ قال نَسَبًا وصِهرًا وحسبا قال ليس فى ابائى
من لدن ادم سفاح كلنا نكاح • قال ابن الكلبى كتبت للنبى
صلى الله عليه وسلم • خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية • وعن ابن عباس فى قوله
تعالى وَتَقَلُّبَكَ فى السّاجِدِينَ • قال مِنْ نبى الى نبى حتى
اخرجتك نبيًّا وقال جعفر بن محمد علم الله عز وجل عجز خلقه
عن طاعته فعرفهم ذلك لكى يعلموا انهم لا ينالون الصفو من
خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة البسه
من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل
طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ
اَطَاعَ اللهَ • وقال تعالى وَمَا ارْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شئ من رحمته
فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وَمَا ارْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ • فكانت حيوته رحمة ومماته رَحْمَة كما قال صلى الله
عليه وسلم • حياتى خير لكم وموتى خير لكم • وكما قال
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامّةٍ قبض نبيّها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا • وقال السمرقندى رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ • يعني للجنّ والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمةً
بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر
بتاخير العذاب • قال ابن عبّاس هو رحمة للمؤمنين •
والكافرين اذ عوفوا ممّا اصاب غيرهم من الامم المكذّبة
وحكى انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم • قال لجبرئيل هل •
اصابك من هذه الرّحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله عزّ وجلّ علىّ بقوله ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى •
الْعَرْشِ مَكِينٍ • مُطَاعٍ ثَمَّ اَمِينٍ وروى عن جعفر بن محمّد •
الصادق فى قوله فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ اى بك انّما
وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمّد صلّى الله عليه وسلّم
• وقال الله تعالى اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ الآية •
قال كعب وابن جبير المراد بالنّور الثّانى هنا وهو قوله مَثَلُ
نُورِهِ اى نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم • وقال سهل بن •
عبد الله المعنى الله هادى اهل السّموات والارض ثمّ قال
مثل نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم • اذ كان مستودعا
فى الاصلاب كمشكات صفتها كذا واراد المصباح قلبه
والزجاجة صدره اى كَاَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ لما فيه من الايمان
والحكمة تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ اى من نور ابراهيم وضرب
المثل بالشّجرة المباركة وقوله يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ اى تكاد

نبوة

نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت قال ابو سعيد الخراز اراد بالمشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعل الله تعالى فيه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القران فى غير هذا الموضع نورًا وسراجًا منيرا فقال قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وقال تعالى اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا اِلَى اللهِ بِاِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ومن هذا قوله تعالى اَلَمْ نَشْرَحْ صَدْرَكَ الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاءه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى اَنْقَضَ ظَهْرَكَ قال ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله

قال القاضى رحمه الله تعالى

عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه
بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع
عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه
بظهور دينه لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه لعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع
الله قدره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول اتدري
كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان ذكري معك وقال
ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر
ابن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال أَطِيعُوا اللّٰهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فجمع بينهما بواو العطف
المشتركة فلا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه
وقرأته على الثقة عنه ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد

على الدين كله وحطه عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة م

ابن عبد المؤمن ● ثنا ابو بكر بن داسة التمار ● ثنا ابو داود السجزي ● ثنا ابو الوليد الطيالسي ● ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ● لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان ● قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم ● الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم ● فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب ● قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روى في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما ● وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ● هل يصلون راجعة الى الله تعالى والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملئكة وقدروا الاية ان الله يُصَلِّي وَمَلَٰٓئِكَتُهُ يُصَلُّونَ وقد روى عن عمر رضي الله عنه ● انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ

فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ ● وقد قال الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ الايتين ● روى انه لما نزلت هذه الاية ● قالوا ●
ان محمدا يريد ان يتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف
المفسرون في معنى قوله في امّ الكتاب اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ●
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ● فقال ابو العالية والحسن البصري
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وخيار
اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما
نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما ● وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي ●
العالية في قوله صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال فبلغ ذلك الحسن ●
فقال صدق والله ونصح ● وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عن عبد الرحمن بن زيد ● وحكى ابو عبد ●
الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيد ● وقال سهل في قوله تعالى وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم ● وقال تعالى وَالَّذِي جَاءَ
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الايتين اكثر المفسرين ●
على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم ●

قال

قال بعضهم وهو الذى صدّق به وقرئ صَدَقَ به بالتخفيف ●
وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون ● وقيل ابو بكر وقيل
علىّ وقيل غير هذا من الاقوال ● وعن مجاهد فى قوله تعالى اَلَا ●
بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ● قال بمحمّد صلى الله عليه وسلم
واصحابه الفصل الثانى ● فى وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلّق
بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الاية جمع الله تعالى له فى هذه الاية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امّته
لنفسه بابلاغهم الرّسالة وهى من خصائصه صلى الله عليه وسلم
ومبشّرا لاهل طاعته ● وَنَذِيرًا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الى الحقّ حدثنا الشيخ ابو محمّد
ابن عتّاب رحمه الله ● ثنا ابو القاسم حاتم بن محمّد ● ثنا
ابو الحسن القابسىّ ● ثنا ابو زيد المروزىّ ● ثنا ابو عبد الله
محمّد بن يوسف ● ثنا البخارى ● ثنا محمّد بن سنان ● ثنا
فليح ● ثنا هلال عن عطاء بن يسار ● قال لقيت عبد الله بن عمرو
ابن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اجل والله انه لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القران
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ● وحرزا للاميّين
انت عبدى ورسولى سمّيتك المتوكّل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب

في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويغفروا
لن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا • وذكر مثله عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب
في الاسواق • ولا متزين بالفحش • ولا قوال للخنا • اسدده
لكل جميل • واهب له كل خلق كريم • واجعل السكينة لباسه
والبر شعاره • والتقوى ضميره • والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته • والعفو والمعروف خلقه • والعدل سيرته •
والحق شريعته • والهدى امامه • والاسلام ملته •
واحمد اسمه • اهدي به بعد الضلالة • واعلم به بعد
الجهالة • وارفع به بعد الخمالة • واسمي به بعد النكرة • و
اكثر به بعد القلة • واغني به بعد العيلة • واجمع به بعد
الفرقة • واولف به بعد قلوب مختلفة • واهواء متشتتة
وامم متفرقة • واجعل امته خير امة • اخرجت للناس •
وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته
في التورية عبدي احمد المختار • مولده بمكة • ومهاجره
بالمدينة • اوقال طيبة امته الحمادون لله على كل حال • وقال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين • وقال
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم • قال السمرقندي ذكرهم الله

منته

منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى
وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وكذلك قوله تعالى فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ الاية وقوله
وَسَطًا اى عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا
للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله عليه وسلم
بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون
نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء
ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم
حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي
وقال الله تعالى وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم
شفيع لهم وعن الحسن ايضا مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه
وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة

نبيّهم محمّد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم • وقال سهل بن عبد الله التسترىّ هى سابقة رحمة اودعها فى محمّد صلى الله عليه وسلم • وقال محمّد بن علىّ الترمذىّ • هو امام الصادقين والصدّيقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمّد صلى الله عليه وسلم حكاه عن السلمى • الفصل الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرّة من ذلك قوله تعالى عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ قال ابو محمّد مكىّ قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله • وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب • وحكى السمرقندى عن بعضهم انّ معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لِمَ اَذِنتَ لَهُمْ لخيف عليه ان ينشقّ • قلبه من هيبة هذا الكلام لكنّ الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتّى سكن قلبه ثمّ قال لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ بالتخلف حتى يتبيّن لك الصادق • فى عذره من الكاذب وفى هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لبّ ومن اكرامه اياه وبرّه به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب • قال نفطويه ذهب ناس الى انّ النبىّ صلى الله • عليه وسلم • معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيّرا فلمّا اذن لهم اعلمه الله انّه لو لم يأذن لهم لقعدوا النفاقهم وانّه لا حرج عليه فى الاذن لهم يجب على المسلم المجاهد نفسه •

قال القاضى رحمه الله

الراتفى

الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بادب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقة
وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغنى
عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتداء بالاكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب
وقال تعالى وَلَوْلَا اَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْئًا
قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد
الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون
بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بداء بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف
ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه و
كرامته ومثله قوله قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
الآية قال على رضى الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله
تعالى قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
الآية وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه
قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال
كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله هذه

الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه
الصلوة والسلام والطافه له في القول بان قرر عنده بانه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفين بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل اللوم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ فحاشاه
من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم
اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وَجَحَدُوا بِهَا
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه صلى الله عليه وسلم
وانسه بما ذكره عمن كان ووعده النصر بقوله وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِنْ قَبْلِكَ الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك
ومما ذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبر الله تعالى
به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم يا آدم يا نوح
يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب
هو الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل
يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره صلى الله

عليه وسلم • قال الله تعالى لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم • واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك فهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف •
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى ولا ذرأ وما برأ
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
اقسم بحياة احد غيره • او غير محمد صلى الله عليه وسلم
قال ابو الجوزاء ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده • وقال تعالى
يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ الايات اختلف المفسرون في معنى ياسين
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم • قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر انه منها طه ويس
اسمان له • وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم • وعن
ابن عباس يس يا انسان اراد بالانسان محمدا صلى الله
عليه وسلم • وقال وهو قسم وهو من اسماء الله تعالى •
وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد • وعن كعب يس قسم اقسم الله

به قبل ان يخلق السماء والارض بالفى عام ۝ يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَاِنْ قُدِّرَ اَنَّهُ من اسمائه
صلى الله عليه وسلم ۝ وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما
تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى
النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه اِنَّهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ بوحيه الى عباده
وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ من ايمانه اى طريق لا اعوجاج فيه ولا
عدول عن الحق ۝ قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد
من انبيائه عليه السلام بالرسالة فى كتابه الا له وفيه من تعظيمه
صلى الله عليه وسلم وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر ۝ وقال تعالى
لَا اُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَاَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ ۝ قيل لا اقسم به اذا لم تكن
فيه بعد خروجك منه حكاه مكى ۝ وقيل لا زائدة اى اقسم
به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة ۝ وقال الواسطى اى نحلف
لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا
يعنى المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده ۝
يصححه قوله تعالى حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير
قوله تعالى وَهٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِينِ ۝ قال امنها الله بمقامه فيها

وكونه

وكونه بها فانّ كونه صلى الله عليه وسلم • امان حيث كان
ثم قال تعالى وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ من قال اراد ادم فهو عامّ ومن
قال هو ابراهيم وما ولد فهى اشارة ان شاء الله تعالى
الى محمد صلى الله عليه وسلم • فتضمن السورة القسم
به فى الموضعين • وقال تعالى الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ • قال
ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن
غيره فيها غير ذلك • وقال سهل بن عبد الله التسترى الالف
هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه
وسلم • وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل
وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم
بهذا القران لاريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم •
ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه
باسمه نحو ما تقدم • وقال ابن عطاء فى قوله تعالى •
وَالْقُرْاٰنِ الْمَجِيدِ اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه •
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه
لعلو حاله • وقيل هو اسم للقران • وقيل هو اسم لله •
وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا • وقال جعفر بن
محمد فى تفسير وَالنَّجْمِ اِذَا هَوٰى انه محمد صلى الله عليه وسلم •
وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار

اسم جبل

وقال انقطع عن غير الله ● وقال ابن عطاء في قوله تعالى وَٱلْفَجْرِ
وَلَيَالٍ عَشْرٍ الفجر محمّد صلّى الله عليه وسلّم لانّ منه تفجّر الايمان

الفصل الخامس ● في قسمه تعالى جدّه له ليحقّق مكانته عنده

قال جلّ اسمه وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ السّورة اختلف المفسّرون
في سبب نزول هذه السّورة فقيل كان ترك النّبيّ صلّى الله
عليه وسلّم قيام اللّيل لعذر نزل به فتكلّمت امرأة في ذلك
بكلام ● وقيل بل تكلّم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السّورة ● قال الفقيه الامام ابو الفضل رحمه الله تضمّنت
هذه السّورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه ايّاه
ستّة وجوه الاوّل القسم له عمّا اخبره به من حاله بقوله
وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ اي وربّ الضّحى وهذا من اعظم
درجات المبرّة الثّاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه
بقوله مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثّالث قوله تعالى وَلَلْآخِرَةُ
خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ● قال ابن اسحق اي مالك في مرجعك
عند الله تعالى اعظم ممّا اعطاك من كرامة الدّنيا ● وقال
سهل اي ما ذخرت لك من الشّفاعة والمقام المحمود خير لك
ممّا اعطيتك في الدّنيا ● الرّابع قوله تعالى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ
رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ● وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع

السّعادة

السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة • قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة • وقيل يعطيه الحوض والشفاعة • وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم • انه قال ليس اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان يدخل احد من امته النار • الخامس ما عدّه الله تعالى عليه من نعمه وقرّره من الاية قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له صلى الله عليه وسلم فاغناه بما اتاه الله او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه • وقد قيل اواه الله • وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه • وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اصطفائه واختصاصه • السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرّفه به بنشره • و اشادة ذكره بقوله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته • وقال تعالى وَالنَّجْمِ اذا هوى الى قوله لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى •

اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القران • وعن جعفر بن محمد رضى الله
عنهما انه محمد صلى الله عليه وسلم • وقال هو قلب محمد
صلى الله عليه وسلم • وقد قيل فى قوله تعالى وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ
وَمَا أَدْرٰيكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ • ان النجم هذا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم • حكاه السلمى تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد مايقف دونه العد واقسم جل
اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم • وتنزيهه
عن الهوى وصدقه فيما تلاوانه وَحْيٌ يُوحَى • اوصله اليه
عن الله عز وجل جبرئيل عليه السلام وهو الشديد القوى •
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة
المنتهى • وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه
الكبرى • وقد نبه على مثل هذا تعالى فى سورة الاسراء
ولما كان ماكاشفه عليه الصلوة والسلام • من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لاتحيط به العبارات ولاتستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال تعالى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى •
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى
والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز • وقال تعالى

لقد

لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى • انحصرت الافهام عن تفصيل ما اوحى • وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الايات الكبرى • قال القاضى ابو الفضل رحمه الله • واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله تعالى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى ولسانه بقوله تعالى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى • وبصره بقوله تعالى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى • وقال تعالى فَلَا اُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ الى قوله وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ • لا اقسم اى اقسم اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى • قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم • فجميع الاوصاف بعد على هذا له • وقال غيره هو جبرئيل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعنى محمدا قيل راى ربه • وقيل راى جبرئيل فى صورته • وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ • اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق • وقال تعالى ن وَالْقَلَمِ الايات

دز كرم

اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال تعالى وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد
ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال تعالى وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل
ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله
لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على
ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعدهم به من عقوباتهم وتوعدهم بقوله
تعالى فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ الثلاث الايات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فَلَا تُطِعِ

المكذبين

المكذبين • الى قوله اساطير الاولين • ثم ختم ذلك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه • وخاتمة بواره بقوله سنسمه على
الخرطوم • فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده • واثبت فى ديوان مجده
صلى الله عليه وسلم الفصل السادس فيما ورد من قوله
تعالى فى جهته صلى الله عليه وسلم • مورد الشفقة
والاكرام • قال تعالى طه • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم • وقيل هو
اسم لله • وقيل معناه يا رجل • وقيل يا انسان • وقيل هى
حروف مقطعة لمعان • قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى
وقيل هو امر من الوطاء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد
على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • نزلت الاية
فيما كان النبى صلى الله عليه وسلم • يتكلفه من السهر و
التعب وقيام الليل صلى الله عليه وسلم اخبرنا القاضى ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضى ابى
الوليد الباجى اجازة ومن اصله نقلت • ثنا ابو ذر
الحافظ • ثنا ابو محمد الحموى • ثنا ابراهيم ابن خزيم
الشاشى • حدثنا عبد بن حميد • ثنا هاشم بن القسم عن ابى

جعفر عن الربيع بن انس • قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم • اذا صلى قام على رجل واحد ورفع الاخرى فانزل الله
تعالى طه يعني طاء الارض يا محمد مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
لِتَشْقَى • ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام • وحسن
المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم •
كما قيل او جعلت قسما حق الفضل بما قبله • ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة • قوله تعالى فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا • اى قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا • ومثله قوله تعالى
ايضا لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • ثم قال
إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ • ومن هذا الباب قوله فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ الى قوله وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ
الى اخر السورة • وقوله تعالى وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
الاية • قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى
من المشركين • واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل
بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ • ومن هذا قوله تعالى كَذَلِكَ مَا أَتَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ •

عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة
وانه ليس اول من لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره
بقوله تعالى فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اى اعرض عنهم فَمَا اَنْتَ بِمَلُومٍ
اى فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله واصبر
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَاِنَّكَ بِاَعْيُنِنَا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث
نراك ونحفظك سلاه الله بهذا فى اى كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز من
عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته
قوله تعالى وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا اٰتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ
الى قوله مِنَ الشَّاهِدِينَ قال ابو الحسن القابسى استخص الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه
به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله تعالى
الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ
عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
فمن بعده قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم
يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد

فی محمد صلی الله علیه وسلم لئن بعث وهو حی لیؤمنن به
ولینصرنه ویأخذ العهد بذلك علی قومه ونحوه عن السدی
وقتادة فی ایٍ تضمنت فضله من غیر وجه واحد ۞ قال الله
تعالی وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِیّینَ مِیثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الایة
۞ وقال تعالی اِنَّا اَوْحَیْنَا اِلَیْكَ كَمَا اَوْحَیْنَا اِلَی نُوحٍ الی قوله
شَهِیدًا ۞ روی عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه ۞
انه قال فی كلامٍ بكا به النبی صلی الله علیه وسلم فقال
بابی انت وامی یا رسول الله لقد بلغ من فضیلتك عند الله
ان بعثك اخر الانبیاء وذكرك فی اولهم فقال وَاِذْ اَخَذْنَا
مِنَ النَّبِیّینَ مِیثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الایة بابی انت وامی ۞
یا رسول الله لقد بلغ من فضیلتك عنده ان اهل النار یودون
ان یكونوا اطاعوك وهم بین اطباقها یعذبون یَقُولُونَ
یَا لَیْتَنَا اَطَعْنَا اللهَ وَاَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ قال قتادة ان النبی
صلی الله علیه وسلم قال كنت اول الانبیاء فی الخلق واخرهم
فی البعث فلذلك وقع ذكره ههنا مقدما قبل نوح وغیره ۞
قال السمرقندی فی هذا تفضیل نبینا صلی الله علیه وسلم ۞
لتخصیصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنی اخذ الله علیهم
المیثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر ۞ وقال تعالی تلك ۞
الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ الایة ۞ قال اهل التفسیر اراد

بقوله

بقوله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه العزيز فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله تعالى وَاِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَاِبْرَاهِيمَ ان الهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وسلم اى ان من شيعته محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد منه نوح عليه السلام الفصل الثامن فى اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفع العذاب بسببه قال الله تعالى وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ اى ماكنت بمكة فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى من بقى فيها من المؤمنين نزل وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وهذا مثل قوله لَوْ تَزَيَّلُوا الاية وقوله وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وهذا من ابين مايظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت منهم مكة عذبهم

بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
وَاَوْرَثَهُمْ اَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ ۔ وفي الاية ايضا تأويل
اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ۔
ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ۔ ثنا ابو
يعلى بن زوج الحرة ۔ ثنا ابو علي السنجي ۔ ثنا محمد بن احمد بن
محبوب المروزي ۔ ثنا ابو عيسى الترمذي الحافظ ۔ ثنا
سفين بن وكيع ۔ ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر
عن عباد بن يوسف ۔ عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ۔ انزل الله علي امانين
لامتي وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۔ فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ۔
ونحو منه قوله تعالى ۔ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۔
قال عليه الصلوة والسلام انا امان لاصحابي ۔ قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن ۔ قال بعضهم الرسول صلى الله
عليه وسلم ۔ هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية فهو باق ۔ فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن
۔ وقال الله تعالى اِنَّ اللّٰهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الاية
ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم ۔ بصلاته عليه
ثم بصلاة ملئكته ۔ وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه

والصلوة

والصلوة من الملئكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنجيه صلى الله عليه وسلم قال أَلَيْسَ اللّٰهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ والهاء هدايته قال وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا والياء تاييده له صلى الله عليه وسلم قال وَأَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ والعين عصمته له تعالى قال وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ والصاد صلاته عليه قال إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ وقال تعالى وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَاهُ الاية مولاه اى وليه وناصره جبرئيل وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الى قوله يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور

له غير مواخذ بما كان وما يكون • قال بعضهم اراد غفران ما
وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك • وقال مكى جعل الله المنة
سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل • ثم قال وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ قيل بخضوع من تكبر لك
وقيل بفتح مكة والطائف • وقيل برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلم بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه له وفتح
اهم البلاد عليه واجتها له ورفع ذكره وهدايته الصراط •
المستقيم • المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز • و
منته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم • ثم قال اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا الاية فعدد محاسنه وخصائصه عليه الصلوة والسلام
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم • وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب • وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب • وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم
به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه • وقيل
ينصرونه • وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظموه و
قراءه بعضهم ويعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر ان هذا

فى حق

فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ويسبحوه
فهنا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبى صلى الله
عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية
والمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة
الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه
واقسم بحياته ونسخ شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى و
حفظه فى المعراج حتى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى وبعثه الى
الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا
مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه
وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال اِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
اِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللّٰهَ يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله
ببيعتهم اياك يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ يريد عند البيعة
قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان
المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ

اللّٰهَ رَمَى وان كان الاوّل في من باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لانّ القاتل والرّامي بالحقيقه هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانّه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرّمية حيث وصلت حتّى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه ٭ وكذلك قتل الملئكة لهم حقيقة ٭ وقد قيل في هذه الاية الاخرى انّها على المجاز العرفي ومقابلة اللّفظ ومناسبته اي ماقتلتموهم اذ قتلتموهم ومارميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتّراب ولكنّ الله رمى قلوبهم بالجزع اي انّ منفعة الرّمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرّامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وماخصّه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرنا قبل من ذلك ما نصّه تعالى من قصّة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصّة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من النّاس بقوله وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وقوله وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الاية ٭ وقوله اِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ وما دفع الله به عنه في هذه القصّة من اذاهم بعد تحزّبهم لهلكه وخلوصهم نجيّا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر

في ذلك

فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن
مالك حسب ماذكره اهل الحديث والسير فى قصة الغار
وحديث الهجرة وقوله تعالى اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ
لِرَبِّكَ وَانْحَرْ اِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْاَبْتَرُ اعلمه الله تعالى بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال اِنَّ شَانِئَكَ هُوَ
الْاَبْتَرُ اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد
الوحيد اوالذى لاخير فيه وقال عزوجل وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا
مِنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قيل السبع المثانى السور
الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثانى
ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثانى
ما فى القران من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد
نعم واتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت ام القران
مثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد
صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القران
مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال تعالى وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الذِّكْرَ الاية

وقال وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا • وقال عز من قائل قُلْ يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيعًا الاية • قال فهذه من خصائصه • وقال تعالى وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ اِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود • وقال تعالى اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَاَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ • قال اهل التفسير اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ اى ما انفذه فيهم من امرٍ فهو ماضٍ عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده • وقيل اتباع امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفة المصحف • وقال تعالى وَاَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ الاية • قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم •

الباب الثانى فى تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا

• وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم عليه

افضل

افضل الصلوة والتسليم الباحث عن تفاصيل جمل قدره
العظيم ان خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان ضرورى
دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب
دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثمّ هى على فنين
ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله
وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال
حركته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومكسبه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخروة بالاخر
اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت
على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو
والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتودة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو
فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه

فيكتسبها ولكنه لا بدّ ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلّة
شعبة كما سنبيّنه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيويّة
اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنّها كلّها محاسن وفضائل
باتّفاق اصحاب العقول السّليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها
وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منّا يشرف بواحدة منها او اثنتين اذا اتّفقت
له فى كلّ عصر امّا من نسب او جمال او قوّة او علم او حلم او شجاعة
او سماحة حتّى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرّر
له بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال رمم بوال فما ظنّك بعظيم قدر من اجتمعت
فيه كلّ هذه الخصال الى ما لا ياخذه عدّ ولا يبلغ عنه
مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الّا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوّة والرّسالة والخلّة والمحبّة والاصطفاء
والاسراء والرّؤية والقرب والدّنو والوحى والشّفاعة
والوسيلة والفضيلة والدّرجة الرّفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصّلوة
بالانبياء والشّهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد
ادم ولواء الحمد والبشارة والنّذارة والمكانة عند ذى
العرش والطّاعة ثمّ والامانة والهداية ورحمة العالمين واعطاء

الرضا

الرّضا والسّؤل والكوثر واسماع القول واتمام النّعمة والعفو
عمّا تقدّم وتاخّر • وشرح الصّدر ووضع الوزر ورفع
الذّكر وعزّة النّصر ونزول السّكينة والتّايد بالملٰئكة وايتاء
الكتاب والحكمة والسّبع المثانى والقرآن العظيم • وتزكية
الامّة والدّعاء الى الله وصلاة الله والملٰئكة والحكم بين
النّاس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى
واسماع الصّمّ ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر وردّ الشّمس وقلب الاعيان والنّصر بالرّعب والاطّلاع
على الغيب وظلّ الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة
من النّاس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه
ذلك ومفضّله به لا اله غيره الى ما اعدّ له فى الدّار الاخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السّعادة
والحسنى والزّيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون
ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء عن القطع
بالجملة انّه صلّى الله عليه وسلّم • اعلى النّاس قدرا واعظمهم
محلّا • واكملهم محاسن وفضلا • وقد ذهبت فى تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوّقنى الى ان اقف عليها من
اوصافه صلّى الله عليه وسلّم تفصيلا • فاعلم نوّر الله قلبى

وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك انك
اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة
الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل
قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
عليه الصلوة والسلام فى حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث على وانس بن مالك
وابى هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن
ابى هالة وابى جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقيب وابى الطفيل والعداء بن خالد و
خزيم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضى الله عنهم
من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور
الوجه واسع الجبين كث اللحية تملاء صدره سوآء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم
العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب
الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد
دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول

الا

الاطالة صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق • وعن مثل حب الغمام واذا تكلم رءى
كالنور يخرج من بين ثناياه احسن الناس عنقا • ليس بمطهم
ولا مكلثم • متماسك البدن ضرب اللحم • قال البراء رضي الله
عنه • ما رايت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابو هريرة رضي
الله عنه • ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم • كان الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ
فى الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه • وقال له رجل
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال
لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا • وقالت ام معبد
رضي الله عنها فى بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب • وفى حديث ابن ابى هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر • وقال على رضي الله
عنه • فى اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه
وسلم • والاحاديث فى بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها • وقد اختصرنا فى وصفه نكت ما جاء فيها
وجملة مما فيه الكفاية فى القصد الى المطلوب وختمنا هذه

الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله
تعالى **فصل** واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن
الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك
بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة **حدثنا** سفين بن
العاصي وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس
الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا
مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس
قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة
انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده
بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها
بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت
امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب
الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد

الا عرف

الاعرف انه سلكه من طيبه • ذكر اسحق بن راهويه ان
تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم • وروى
المزني عن جابر رضي الله عنه • قال اردفني النبي صلى الله
عليه وسلم • فالتقمت خاتم النبوة بفمي وكان ينم على مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم
• انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه
وسلم • وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة الحدثين منه وهو قول بعض اصحاب الشافعي
حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله واسند محمد بن
سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم • انك تاتي الخلاء فلا
نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشه اوما علمت ان
الارض تبلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ • وقد حكى
القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه لم يكن منه صلى الله
عليه وسلم • شئ يكره ولا غير طيب • ومنه حديث علي
رضي الله عنه • غسلت النبي صلى الله عليه وسلم •

خلفه صح

فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا
ومثله ❁ قال ابو بكر رضى الله عنه حين قبل النبى صلى الله
بعد موته ❁ ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه
اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ❁ ذلك له وقوله لن
تصيبه النار ❁ ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ ويل لك من الناس
وويل لهم منك ولم ينكره عليه ❁ وقد روى نحو من
هذا عنه عليه الصلوة والسلام ❁ فى امراة شربت بوله
فقال لها لن تشتكى وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده ❁ وحديث هذه المرءة التى
شربت بوله صلى الله عليه وسلم ❁ صحيح الزم الدارقطنى
مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح ❁ واسم هذه المرءة
بركة واختلف فى نسبها ❁ وقيل هى ام ايمن وكانت
تخدم النبى صلى الله عليه وسلم ❁ قالت وكان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ❁ قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده
فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم ❁ روى حديثها ابن جريج وغيره
وكان صلى الله عليه وسلم ❁ فى بعض الروايات قد ولد

مختونا

مختونا مقطوع السرّه وروي عن امّه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قطّ وعن علي رضي الله عنه قال اوصاني النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا يغسله غيري فانّه لا يرى احد عورتي الّا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنه انّه صلّى الله عليه وسلّم نام حتّى سمع له غطيط فقام وصلّى ولم يتوضّأ قال عكرمة لانّه صلّى الله عليه وسلّم كان محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبّه وقوّة حواسّه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انّه كان اعقل النّاس واذكاهم ومن تأمّل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصّة والعامّة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عمّا افاضه من العلم وقرّره من الشرع في غير ما اوحي اليه بل نحته للنّاس موافق الشرع دون تعلّم سبق ولا ممارسة تقدّمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاوّل بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقريره لحقيقة وقد قال وهب بن منبّه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ارجح النّاس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى

فوجدت فی جمیعها ان الله تعالی لم یعط جمیع الناس من بدء
الدنیا الی انقضائها من العقل فی جنب عقله صلی الله علیه
وسلم الا کحبة رمل بین رمال الدنیا وقال مجاهد کان
رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا قام فی الصلوة یری
من خلفه کما یری من بین یدیه وبه فسّر قوله تعالی وَتَقَلُّبَكَ
فِي السَّاجِدِينَ وفی الموطاء عنه صلی الله علیه وسلم انی
لاراکم من وراء ظهری ونحوه عن انس فی الصحیحین وعن
عائشة مثله قالت زیادة زاده الله ایاه فی حجته وفی بعض
الروایات انی لانظر من ورائی کما انظر الی من بین یدی
وفی اخری انی لابصر من قفای کما ابصر من بین یدی
وحکی بقی بن مخلد عن عائشة قالت کان النبی صلی الله علیه
وسلم یری فی الظلمة کما یری فی الضوء والاخبار کثیرة
صحیحة فی رؤیته صلی الله علیه وسلم للملئکة والشیاطین
ودفع النجاشی له حتی صلی علیه وبیت المقدس حین وصفه
لقریش والکعبة حین بنا مسجده وقد حکی عنه انه کان یری
فی الثریا احد عشر نجما وهذه کلها محمولة علی رؤیة العین
وهو قول احمد بن حنبل وغیره وذهب بعضهم الی ردها الی
العلم والظواهر تخالفه ولا احالة فی ذلک وهی من خواص
الانبیاء وخصالهم کما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد

العدل

العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغانى قال
حدثتنا امّ القسم بنت ابى بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو
الحسن على بن محمّد الحسنى ثنا محمّد بن محمّد بن
سعيد ثنا محمّد بن محمّد بن سليمان ثنا محمّد بن
محمّد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن
يحيى بن وثاب عن ابى هريرة عن النبىّ صلّى الله عليه
وسلّم قال لمّا تجلّى الله لموسى عليه السّلام كان يبصر النملة
على الصفا فى الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا
ان يختصّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بما ذكرناه من هذا
الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ
وقد جاءت الاخبار بانّه صرع ركانة اشدّ اهل وقته وكان
دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان
شديدا وعاوده ثلث مرّاة كلّ ذلك يصرعه رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم فى مشيه كانّما الارض تطوى له انّا
لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته انّ ضحكه كان تبسّما
اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلّعا كانّما ينحطّ من صبب
فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلّى الله
عليه وسلّم من ذلك بالمحلّ الافضل والموضع الذى لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ

وجزالة قول * وصحة معان * وقلة تكلف * اوتي جوامع الكلم
وخص ببدايع الحكم * وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تامل حديثه وسبره علم ذلك وتحققه وليس كلامه
مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار
الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
ابن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان * ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري
وعليهم فيها الصالغ والقارح * وقوله عليه الصلوة
والسلام لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد
من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا * ومن
شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك
ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل
عن الصلوات * وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض

والفريش

والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تظمروا الرماق وتاكلوا
الرباق من اقرّ فله الوفاء بالعهد والذمّة ومن ابا فعليه الربوة
ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والاوراع المشابيب
وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنا من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنا من ثيّب فضرّجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمّة في فرائض الله وكلّ مسكر حرام ووائل بن حجر يترفّل
على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور
لما كان كلام هؤلاء على هذا الحدّ وبلاغتهم على هذا النمط
واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم لِيُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وليحدّث النّاس بما يعلمون وكقوله عليه
الصلوة والسلام في حديث عطيّة السعدى فانّ اليد
العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلّمنا رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم بلغتنا وقوله في حديث العامرى
حين ساله فقال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سل عنك
اى سل عمّ شئت ما وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الّف
النّاس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها

الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة كقوله
صلى الله عليه وسلم • المسلمون تتكافاء دماءهم • و
يسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة
من لا يرى لك ما ترى له • والناس معادن وما هلك امرء
عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم •
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم • اوسكت فسلم • وقوله
عليه الصلوة والسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك
مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس مجلسا يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وقوله عليه السلام لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما
لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات • وقوله اتق الله حيث
كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وخير الامور اوساطها • وقوله احبب حبيبك هونا ما •
عسى ان يكون بغيضك يوما ما • وقوله الظلم ظلمات يوم
القيمة • وقوله في بعض دعائه • اللهم اني اسئلك رحمة
من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي •

وتصلح

وتصلح بها غائبي • وترفع بها شاهدي • وتزكي بها
عملي • وتلهمني بها رشدي • وترد بها الفتي •
وتعصمني بها من كل سوء • اللهم اني اسئلك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء • وعيش السعداء • والنصر
على الاعداء • الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا
خلاف انه نزل من ذلك مرتبة من فنه لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره • وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق اليها • ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله حمي الوطيس • ومات حتف انفه • ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها • مما
يدرك الناظر العجب في مضمنها • ويذهب به الفكر في ادانى
حكمها • وقد قال له الصحابة ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني • وانما انزل القران بلساني لسان عربي
مبين • وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم • قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق
كلامها الى التاييد الالهي • الذي مبدؤه الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري • وقالت ام معبد في وصفها له حلو

المنطق * فصل لا نزر ولا هذر وكان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه * وكرم بلده ومنشائه * فما لا يحتاج في اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله * ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف * ثنا ابو ذر عبد بن احمد * ثنا ابو محمد السرخسي * وابو اسحق وابو الهيثم قالوا * ثنا محمد بن يوسف * ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد * ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري * عن ابي هريرة رضي الله عنه * ان رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا * حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم * ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم * ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة * ثم خير البيوت * فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه * قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى
من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى
من بنى هاشم قال الترمذى وهذا حديث صحيح وفى حديث
عن ابن عمر رواه الطبرى انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار
بنى ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار
منهم بنى هاشم ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبى احبهم
ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم وعن ابن عباس
ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق ادم
بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض
فى صلب ادم وجعلنى فى صلب نوح وقذف بى فى صلب ابراهيم
ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجنى من بين ابوىّ لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس فى مدح النبى صلى الله
عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعوا ضرورة الحياة

اليه متافقلنا فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل فى قلته وضرب
الفضل فى كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء
والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتها
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره
وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة
وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة
الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة للعجز وتضييع للعمر فى غير
نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبى صلى الله
عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع
من سيرته وهو الذى امر به وحض عليه لاسيما بارتباط
احدهما بالاخر حدثنا ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى
عليه ثنا ابو الفضل الاصبهانى ثنا ابو نعيم الحافظ

ثنا

ثنا سلمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن
صالح قال حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر
حدثه عن المقدام بن معدى كرب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب قال سفين الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روى
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان
على ضفف اى كثرة الايدى وعن عائشة رضى الله
عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان فى اهله لا يسئلهم طعاما ولا يتشهاه ان
اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا بحديث بريرة وقوله صلى الله عليه وسلم الم
ارا البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله
عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته
اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره

بقوله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا
هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال
سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله
صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكأ والاتكاء هو
التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى
الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال
صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهناه لهدو
القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى
الجانب الايسر فيستدعي في ذلك الاستثقال فيه والطول
واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة

ولم يغمره

ولم يغره الاستغراق **فصل** والضرب الثانى ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه • اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية • واما فى الشرع فسنة مأثورة • وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم • وقد قال صلى الله عليه وسلم • تناكحوا تكثروا فانى مباه بكم الامم • ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم • بقوله صلى الله عليه وسلم • من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح فى الزهد • قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين • وكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضى الله عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح • وحكى فى ذلك عن على والحسن وابن عمر وغيرهم غير شىء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكرياء قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف

يخنى الله عزّوجلّ عليه بالعجز عمّا تعدّه فضيلة وهذا عيسى
عليه السّلام يجتنّل من النّساء ولوكان كما قرّرته نجح فاعلم
انّ ثناء الله على يحيى عليه السّلام بانّه حصور ليس كما قال
بعضهم انّه كان هيوبا اولا ذكر له بل قد انكر هذا حذّاق المفسّرين
ونقّاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء
وانّما معناه انّه معصوم من الذّنوب اى لا يا تيها كانّه قد حصر عنها
وقيل ما نعا نفسه من الشّهوات وقيل ليست له شهوة
فى النّساء فقد بان لك من هذا انّ عدم القدرة على النّكاح
نقص وانّما الفضل فى كونها موجودة ثمّ قمعها امّا بمجاهدة
كعيسى عليه السّلام او بكفاية من الله عزّوجلّ كيحيى عليه
السّلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات
حاطّة الى الدّنيا ثمّ هى فى حقّ من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربّه عزّ وجلّ درجة عليا
وهى درجة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم التى لم يشغله
كثرتهنّ عن عبادة ربّه تعالى بل زاده ذلك عبادة
لتحصينهنّ وقيامه بحقوقهنّ واكتسابه لهنّ وهدايته اياهنّ
بل صرّح انّها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من
حظوظ دنيا غيره فقال صلّى الله عليه وسلّم
حبّب الىّ من دنياكم فدلّ على انّ حبّه لما ذكر من النّساء

والطيب

والطيب الذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرنا من التزويج وللقاء الملئكة
في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك
اسبابه وكان حبه لهاتين من الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت
مولاه ومناجاته ولذلك ميز صلى الله عليه وسلم وبين
الحبتين وفصل بين الحالتين فقال فجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى
في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله
عليه وسلم بمن اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير
منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد
روينا عن انس عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور
على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا اخرجه
النسائي وروى نحوه عن ابي رافع وعن طاوس انه اعطى
عليه الصلوة والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله
عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع ويطهر من كل
واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب

وروى نحوه عن ابى رافع • وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل • ذلك • قال ابن عباس كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية • وحكى النقاش سبع مائة امراة وثلثمائة سرية • وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة • وقد نبه على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى اِنَّ هٰذَا اَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً • وفى حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم • فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش • واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب • وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ ولكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض وكان صلى الله عليه وسلم • قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره فى ذلك • معروفة سياتى بعضها • وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته

من لم يره

من لم يره ● كما روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يامسكينه عليك بالسكينه السكينة ● وفى حديث ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ● هون عليك فانى لست بملك الحديث ● فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره والله اعلم فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه واملده وتصريفه فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا

التمدّح بالمال وفضيلته عند مفضل ليست لنفسه وانما هو للتوصّل
به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملئ بالحقيقة ولا غنىّ بالمعنى ولا ممتدح
عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من
اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلّط عليه فاشبه
خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده شئ منه والمنفق
ملئ غنىّ بتحصيل فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ
فانظر الى سيرة نبيّنا صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال
تجده قد اوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلّت له
الغنائم ولم تحل لنبىّ قبله وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه
وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى
ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الاقاليم فما استاثر بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
مصارفه واغنى به غيره وقوّى به المسلمين وقال ما يسرّنى
انّ لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا ارصده
لدينى واتته دنانير مرّة فقسمها وبقى منها ستّة فدفعها
لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتّى قام وقسمها وقال الآن
استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة

فى نفقة

فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد صلى الله عليه وسلم فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهات فى الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس انما
تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهى
بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته
ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز للفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
ان كانت فضيلة زائد عليها فى الفخر ومعرق فى المدح باضرابه عنها
وزهده فى فائتها وبذلها فى مظانها فصل واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التى اتفق
جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة

وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتّى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلّى الله عليه وسلّم بعثت لاتمّم مكارم الاخلاق وقال انس كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم احسن النّاس خلقا وعن عليّ بن ابي طالب مثله وكان فيما ذكره المحقّقون مجبولا عليها في حال خلقته واوّل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الّا بجود الهيّ وخصوصية ربّانيّة وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقّق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السّلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلّة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قال المفسّرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصّبيان لم لا تلعب فقال اللّعب خلقت وقيل في قوله مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ صدّق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انّه كلمة الله

ودوحه

وروحه • وقيل صدّقه وهو فى بطن امّه فكانت امّ يحيى تقول
لمريم انّى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحيّة له • وقد نصّ
الله على كلام عيسى لامّه عند ولادتها اياه بقوله لها أَلَّا تَحْزَنِي
على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال انّ المنادى عيسى
ونصّ على كلامه فى مهده فقال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا • فقال فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وقد ذكر
من حكم سليمان وهو صبىّ يلعب فى قصّة المرجومة وفى قصّة
الصّبىّ ما اقتدى به داود ابوه • وحكى الطبرىّ انّ عمره
كان حين اوتى الملك اثنى عشر عامًا وكذلك قصّة موسى مع
فرعون واخذه بلحيته وهو طفل • وقال المفسّرون فى قوله
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ من قبل اى هديناه صغيرا • قاله
مجاهد وغيره • وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لمّا ولد ابراهيم عليه السّلام بعث الله اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده • وقيل انّ القاء ابراهيم عليه السّلام
فى النّار ومحنته كانت وهو ابن ستّ عشرة سنة وانّ ابتلاء
اسحق عليه السّلام بالذّبح وهو ابن سبع سنين وانّ استدلال
ابراهيم بالكوكب والقمر والشّمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
• وقيل اوحى الى يوسف وهو صبىّ عند ما همّ اخوته

بالقائه فى الجب يقول الله تعالى وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِاَمْرِهِمْ
هذا الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم ● وقد حكى
اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ● ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه
الى السماء ● وقال فى حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت
بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشئ مما
كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار
المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى
لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضية ● قال الله تعالى وَلَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَاسْتَوَى اٰتَيْنَاهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او
الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها
فالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها
ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذا
الخلق جبلة او مكتسب ● فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق

الحسن

الحسن جبلة وغريزة في العبد • وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصّلناه • وقد روى سعد
عن النبيّ صلى الله عليه وسلم • قال كلّ الخلال يطبع عليها
المؤمن الّا الخيانة والكذب • وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه
في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعهما الله حيث يشاء • وهذه
الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنّا نذكر اصولها ونشير
الى جميعها ونحقّق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى
فصل امّا اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل
الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرّع عن هذا ثقوب الرّاى
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظّن والنّظر للعواقب • و
مصالح النّفس ومجاهدة الشّهوة وحسن السّياسة والتّدبير
واقتناء الفضائل وتجنّب الرّذائل وقد اشرنا الى مكانه منه
صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية القصوى
التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محلّه من ذلك وما تفرّع منه
متحقّق متحقّقه عند من تتبّع مجارى احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التّورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير
الامم الخالية وايّامها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشّرائع وتاصيل الاداب النّفيسة والشّيم الحميدة

الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم
فيها قدوة واشاراته حجة كالعبادة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك مما سنبيّنه فى معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس
الى علمائهم بل نبيّ اميّ لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله
صدره وابان امره وعلّمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث
من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطوّل
بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها لا ياخذه حصر
ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله صلى الله عليه وسلم
كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علّمه الله
واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم
ملكوته قال الله تعالى وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّٰهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه والله اعلم
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما
يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقّر وثبات
عند الاسباب المحرّكات والاحتمال حبس النفس عند الالام
والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادّب الله به نبيّه صلى الله عليه

وسلم

وسلم • فقال خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
الاية • وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم • لما نزلت
هذه الاية سال جبرئيل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم
ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك
وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ
الاية • وقال فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ • وقال
وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا الاية • وقال وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ •
لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ • ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله
عليه وسلم • لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا • وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى
وغيره قالوا • ثنا محمد بن عتاب • ثنا ابو بكر بن واقد القاضى
وغيره قالوا • ثنا ابو عيسى • ثنا عبيد الله • ثنا يحيى بن
يحيى • ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله
عنها • قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فى امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم •
لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها • وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم • لما كسرت رباعيته وشج وجهه

يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا و رحمة
اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضى الله
عنه انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد
دعا نوح على قومه فقال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ الاية ولو
دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى
ابو الفضل رحمه الله انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل و
درجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم
حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له
الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده
فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له
فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث
ابن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم

منفرد

منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فى غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط
السيف من يده فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك منى قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره فى العفو
عفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح
من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به
واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته و
كذلك لم يواخذ عبد الله بن ابى واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل
اصحابه وعن انس قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم
وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى بردائه جبذة
شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال
يا محمد احمل لى على بعيرىّ هذين من مال الله الذى عندك
فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده
ثم قال ويقاد منك يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال ولم قال

لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت
عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
وما ضرب خادما ولا امراة وجئ اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد
ابن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجذ ثوبه عن منكبيه
واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل
فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يتبسم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا
الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتأمره بحسن
التقاضي ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد بقي من اجله ثلث
وامر عمر ان يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات
النبوة شئ الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده
كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره

وعفوه

وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش ۞ واذى الجاهلية ومصابرة
الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه
فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم
فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله عليه
وسلم ۞ كما قال اخي يوسف لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الاية
اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
فانزل الله تعالى ۞ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ الاية ۞ وقال
صلى الله عليه وسلم ۞ لابي سفين وقد سبق اليه بعد ان
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان
لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ابعد الناس غضبا
واسرعه رضا صلى الله عليه وسلم فصل ۞ وَأَمَّا الْجُودُ
وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالسَّمَاحَةُ وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ فَرَّقَ

بعضهم بينها بفروق بجعل الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد فهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفين عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبرئيل اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى صلى الله عليه وسلم غير واحد مائة من الابل

واعطى

واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة • فهذه كانت حاله
صلى الله عليه وسلم • قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل
انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق
حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام
اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله •
فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاء نا شيء قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله
عليه وسلم • ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه
وسلم • وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم •
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء
كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله
عليه وسلم • لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله
عليه وسلم كثير • وعن ابي هريرة رضي الله عنه • اتى رجل
النبي صلى الله عليه وسلم • يسأله فاستسلف له رسول الله
صلى الله عليه وسلم • نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه
وسقا • وقال نصفه قضاء ونصفه نائل **فصل** واما الشجاعة

والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة
النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان
صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح و
مقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت
عنه جولة سواه حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى ثنا القاضى
سراج ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد الفقيه ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار ثنا
غندر ثنا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم
يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء
وابو سفين اخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول
انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قال فما رئى
يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبى صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضى الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا
اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفين اخذ بركابه ثم
نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء

وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رايت اشجع ولا انجد ولا

اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى

اذا اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله

عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد

رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو

اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان

الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس

واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة

فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وقد استبرا الخبر على فرس

لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد

وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي

صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها

كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه

وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي

على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا
طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله
النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها
عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش
وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء
والحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن
العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ابن عبد الله انا شعبة
عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء

في خدرها

فی خدرها وکان اذا کره شیئا عرفناه فی وجهه وکان صلی الله
علیه وسلم لطیف البشرة رقیق الظاهر لایشافه احدا بمایکرهه حیاء
وکرم نفس ٭ وعن عائشة رضی الله عنها ٭ قالت کان النبی
صلی الله علیه وسلم ٭ اذا بلغه عن احد مایکرهه لم یقل مابال
فلان یقول کذا ولکن یقول مابال اقوام یصنعون او یقولون
کذا ینهی عنه ولا یسمی فاعله ٭ وروی انس رضی الله عنه
انه دخل علیه رجل به اثر صفرة فلم یقل له شیئا وکان لا یواجه
احدا بمایکره فلما خرج قال لو قلتم له یغسل هذا ویروی ینزعها
قالت عائشة فی الصحیح لم یکن النبی صلی الله علیه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا یجزی بالسیئة السیئة
ولکن یعفو ویصفح ٭ وقد حکی مثل هذا الکلام عن التوریة
من روایة ابن سلام ٭ وعبد الله بن عمرو بن العاصی وروی
عنه صلی الله علیه وسلم ٭ انه کان من حیائه لا یثبت بصره فی وجه
احد وانه کان یکنی عما اضطره الکلام الیه مما یکره وعن عائشة
رضی الله عنها ما رایت فرج محمد صلی الله علیه وسلم قط ٭
فصل ٭ واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه مع اصناف
الخلق فبحیث انتشرت به الاخبار الصحیحة ٭ قال علی رضی الله
فی وصفه صلی الله علیه وسلم ٭ کان اوسع الناس صدرا واصدق
الناس لهجة والینهم عریکة واکرمهم عشیرة حدثنا ابو الحسن

علي بن المشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراءته علي غيره ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد ابن زرارة عن قيس ابن سعد رضي الله عنها قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه قطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي

هالة قال وكان دائم البشر • سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهى ولا يويس منه صلى الله عليه وسلم • وقال الله
تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ •
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ الاية • وقال اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ
السَّيِّئَةَ الاية • وكان يجيب من دعاه ويقبل الهداية ولو كا
كراعا ويكافى عليها • قال انس رضى الله عنه خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم • عشر سنين فما قال لى اف وما قال
لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته • وعن عائشة
رضى الله عنها ماكان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم • ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال
لبيك • وقال جرير بن عبد الله رضى الله عنه ما حجبنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم • منذ اسلمت ولا رانى الا تبسم وكان
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم
فى حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود
المرضى فى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر • قال انس رضى الله
عنه ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فينحى راسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى راسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم يرمقدما

ركبتيه بين يدى جليس له وكان يبدؤ من لقيه بالسلام ويبداء
اصحابه بالمصافحة لم يرقط مادّا رجليه بين يدى اصحابه حتى يضيق
بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره
بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان ابى ويكنّى
اصحابه ويدعوهم باحبّ اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد
حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى اوقيام ويروى بانتهاء اوقيام
وروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلّى الا خفف صلاته
وساله عن حاجته ۰ فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان صلّى الله
عليه وسلّم ۰ اكثر الناس تبسّما واطيبهم نفسا مالم تنزل
عليه قران او يعظ او يخطب ۰ قال عبد الله بن حارث ما
رايت احدا اكثر تبسّما من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ۰
وعن انس رضى الله عنه ۰ قال كان خدم المدينة ياتون
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ۰ اذا صلّى الغداة بانيتهم
فيها الماء ۰ فايؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان
ذلك فى الغداة الباردة يريدون به التبرّك **فصل** واما
الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ۰
وقال وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۰ قال بعضهم من فضله
صلّى الله عليه وسلّم ۰ ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال

بالمؤمنين

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وحكى نحو الامام ابو بكر بن فورك
حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراتى
عليه ثنا امام الحرمين ابو على الطبرى ثنا عبد الغافر
الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر انا ابن وهب انا
يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله
لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى
حتى انه لاحب الخلق الى وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه
شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى انفس اصحابى من ذلك
شئ فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب
ما فى صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء
فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال

فرد ناه فزعم انه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا
نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها
منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد
من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه وتسهيله
عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله صلى الله
عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة ليلا لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم
رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته
صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته
اولعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبرئيل
عليه السلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك

لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم
فناداه ملك الجبال فسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين • قال النبي صلى الله عليه وسلم •
بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك
به شيئا • وروى ابن المنكدر ان جبرئيل عليه السلام قال
للنبي صلى الله عليه وسلم • ان الله عز وجل امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي فلعل الله
ان يتوب عليهم • قالت عائشة ماخير رسول الله صلى الله
عليه وسلم • بين امرين الا اختار ايسرهما • وقال ابن مسعود
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا •
بالموعظة مخافة السامة علينا • وعن عائشة رضي الله عنها
انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم • عليك بالرفق **فصل** • واما خلقه صلى الله
عليه وسلم • في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم **فحدثنا** •
القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه • ثنا ابو بكر
محمد بن محمد • ثنا ابو اسحق الحبال • ثنا ابو محمد بن النحاس •
ثنا ابن الاعرابي • ثنا ابو داود • ثنا محمد بن يحيى • ثنا
محمد بن سنان • ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم
ابن عبد الله • بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء • قال

بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث
فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلث انتظرك • وعن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم • اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة • وعن عائشة رضي الله
عنها • قالت ماغرت على امراة وماغرت على خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهدي بها الى خلايلها واستاذنت
عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن
السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان • ووصفه بعضهم فقال كان يصل
ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم • وقال
صلى الله عليه وسلم • ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان
لهم رحما سابلها ببلالها • وقد صلى عليه السلام بامامة
ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام
حملها • وعن ابي قتادة رضي الله عنه • قال وفد وفدة
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال
اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب
ان اكافيهم • ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا

هوازن

هوازن وتعرضت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندی محببة مكرمة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها • وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم • وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداء فجلست عليه فقلت من هذه • قالوا امه التي ارضعته • وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل • اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم • فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبه مولاه ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سالهم من بقي من قرابها فقيل لا احد • وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم • ابشر فوالله لا يحزنك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا • فقال له اسرافيل عم فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك

سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع
حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه
في منزله بقرطبة في سنة سبع وخمسمائة ثنا ابو علي الحافظ ثنا
ابو عمر ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله
ابن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي
مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكأ على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا
كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال صلى الله عليه
وسلم انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس
رضي الله عنه ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت
ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طريق
المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها

قال

قال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان صلى الله
عليه وسلم يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف
عليه اكاف قال وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى
خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله
عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة
دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله
راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه
صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى
ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن
احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن
لاجبت الداعى وقال للذى قال له يا خير البرية ذلك ابراهيم
وسياتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة والحسن وابى سعيد وغيرهم رضى الله عنهم
فى صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض
كان فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه ويحلب شاة ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف

ناصحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضي الله عنه قال ان كانت الامة من اهل المدينة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته
رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة
من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل فقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب
الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده و
قال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق
بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم
وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم
امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ
كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين
قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال الله تعالى مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله
عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة
فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله

عليه

عليه وسلم داخل وذال قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين
قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم
والله انى لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي
الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن
محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب
ثنا معاوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب
عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان
الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس
هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب
فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال
هرقل عنه صلى الله عليه وسلم ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش
قد كان فيكم محمد غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه

وسلم • ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها • وفي حديث علي رضي الله عنه • في وصفه صلى الله عليه وسلم • اصدق الناس لهجة • وقال صلى الله عليه وسلم • في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل • قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ • ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم • جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي • فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر • وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم • لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد • وذكره ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم • ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما

هممت

همت بسوء حتى اكرمني الله برسالته • قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني
فنمت فما ايقظني الا حر الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عرا لي
مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما
وقاره صلى الله عليه وسلم • وصمته وتؤدته ومروته وحسن
هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه
ثنا ابو العباس الدلائي • ابو ذر الهروي • ابو عبد الله
الوراق • ثنا اللؤلؤي • ثنا ابو داود • ثنا عبد الرحمن
ابن سلام • ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب قال سمعت خارجة بن زيد
يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم • اوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه • وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم • اذا
جلس في المجلس احتبا بيديه • وكذلك كان اكثر جلوسه •
صلى الله عليه وسلم • محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله
عنه • انه صلى الله عليه وسلم • تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة • وكان صلى الله عليه وسلم كثير •

السكوت لايتكلم فى غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفى صفته صلى الله عليه وسلم يخطوا تكفؤا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب وفى الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه غير غرض ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترميل قال ابن ابى هالة رضى الله عنه كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء البراجم

والرواجب

والزواجب واستعمال لخصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثنا هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرها وقد سيقت اليه بجذافيرها وترادفت عليه فتوحها الي ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز شعير حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى ما شبع ال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي رواية عمرو بن الحارث

ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شئ ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال عليه السلام
اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرؤك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا تكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء

وعن عايشة

وعن عائشة رضى الله عنها انما كان فراشه الذى ينام عليه
ادما حشوه ليف وعن حفصة رضى الله عنها قالت كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته مسحا يثنيه ثنيين
فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمونى الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتنى الليلة صلاتى
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه وعن
عايشة رضى الله عنها قالت لم يمتل جوف النبى صلى الله عليه وسلم
شبعا قط ولم يبت يشكوا الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنا
وان كان ليظل جايعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من
الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ما
هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مابهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى
ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو احب الى من اللحوق
باخوانى واخلائى قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفى
صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة
عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد

ابن عتاب قراءة منى عليه ثنا ابو القاسم الطرابلسى ثنا
ابو الحسن القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبد الله
الفربرى ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث
عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد فى روايتنا عن ابى عيسى
الترمذى يرفعه الى ابى ذر انى ارى مالا ترون واسمع مالا
تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وفيها ملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش و
لخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل لوددت انى شجرة
تعضد روى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول ابى ذر
نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة رضى الله عنه صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية كان يصلى حتى ترم
قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة وابى
هريرة رضى الله عنهما وقالت عائشة رضى الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
يطيق وقالت كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول

لا يفطر

لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام
سلمة وانس رضي الله عنهم وقالت كنت لا تشاء ان تراه من
الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال
عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدا
فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب
الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال
عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله
عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية
من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة رضي الله عنه كان صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة
وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة

راس مالى * والعقل اصل دينى * والحب اساسى * والشوق
مركبى * وذكر الله انيسى * والثقة كنزى * والحزن رفيقى
والعلم سلاحى * والصبر ردائى * والرضا غنيمتى * والفقر
فخرى * والزهد حرفتى * واليقين قوتى * والصدق شفيعى
والطاعة حسبى * والجهاد خلقى * وقرة عينى فى الصلوة *
وفى حديث اخر وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى
الى ربى فصل * اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة *
وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن فى هذه الصفة لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله
عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ * وقال وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وقد قال
صلى الله عليه وسلم * ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر * ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة
ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء وفى حديث
ابى هريرة رضى الله عنه * رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل
اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس * وفى حديث

اخر

اخر مبطن مثل السيف • قال صلى الله عليه وسلم • وانا اشبه
ولد ابراهيم به • وفي حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال • وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم • مابعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه • ويروى في ثروة اى كثرة ومنعة • وحكى الترمذى
عن قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس رضى الله
عنه مابعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا • وفي حديث هرقل و
سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل •
تبعث في انساب قومها • وقال الله تعالى في ايوب اِنَّا وَجَدْنَاهُ
صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ اَوَّابٌ • وقال تعالى يَا يَحْيٰى خُذِ الْكِتَابَ
بِقُوَّةٍ الى قوله وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا • وقال تعالى اِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى
الى مِنَ الصَّالِحِينَ • وقال تعالى اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوحًا
وَاٰلَ اِبْرَاهِيمَ وَاٰلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ الايتين • وقال تعالى
في نوح اِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا • وقال تعالى اِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ
مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ الى الصَّالِحِينَ • وقال تعالى اِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ اٰتَانِيَ
الْكِتَابَ الى مَا دُمْتُ حَيًّا • وقال تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ اٰذَوْا مُوسٰى الاية • قال النبي صلى الله عليه
وسلم • كان موسى رجلا حييا ستيرا • مايرى من جلده شيء

استحياء الحديث وقال تعالى عنه فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا الاية
وقال تعالى فى وصف جماعة منهم إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ امين وقال
تعالى اِنَّ خَيْرَ مَنِ اِسْتَأْجَرْتَ القَوِيّ الامين وقال تعالى
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ اُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وقال تعالى ووهبنا له اسحق
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا الى قوله فَبِهُدَيهِمُ اقْتَدِهْ فوصفهم باوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ وَحَلِيمٍ وقال تعالى وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ
فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ الى اَمِينٌ وَقَالَ تعالى سَتَجِدُنِي
اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ وقال تعالى فى اسمعيل اِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ الايتين وفى موسى اِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وفى سليمان نِعْمَ الْعَبْدُ
اِنَّهُ اَوَّابٌ وقال تعالى وَاذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَاِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ اولى
الْاَيْدِي وَالْاَبْصَارِ اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ الى الاَخْيَارِ وفى داود اِنَّهُ
اَوَّابٌ ثم قال وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ
وقال تعالى عن يوسف اِجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ
وفى موسى سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا وقال عن شعيب عليه السلام
سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وقال تعالى وَمَا اُرِيدُ اَنْ اُخَالِفَكُمْ
اِلَى مَا اَنْهَاكُمْ عَنْهُ اِنْ اُرِيدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وقال تعالى
وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وقال تعالى اِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
الاية قال سفين هو الحزن الدائم فى اى كثيرة ذكر فيها من

خصالهم

خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك
في الاحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي
ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك
الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان
مع ما اوتي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان
يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى اليه يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف
مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى
الجائع وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف
على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل
ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ
اَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وكان سال ربه ان يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب
الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر
يوما وكان يلبس الصوف ويفرش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره

الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها ٭ وقيل بكى حتى
نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا ٭
وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا ٭ وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا
اكرم على الله من ان يشغلنى بحماد ٭ وكان يلبس الشعر وياكل الشجر
ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى اليه ان
يقال له مسكين ٭ وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت
ترى خضرة البقل فى بطنه من الهزال ٭ وقال صلى الله عليه وسلم
لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب
اليهم من العطاء اليكم ٭ وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له فى ذلك فقال اكره ان اعود لسانى النطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكى من خشية الله حتى اتخذ ٭
الدمع مجرا فى خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى ٭
الطبرى عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل فى نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله
بما اكرمه به من كلامه واخبارهم فى هذا كله مسطورة وصفاتهم ٭
فى الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهودة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده فى كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا فصل ٭ قد اتينا اكرمك الله من ذكر

الاخلاق

الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه
مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب فى حقه صلى الله عليه وسلم
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره
الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره فى الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا فى ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا
ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابى هالة لجمعه من
شمائله واوصافه كثيرا وادراجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضى ابو على الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة
وحدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمى قرات عليهما
اخبركما الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى والقاضى
ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى قالوا انا ابو القسم
على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى انا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشى انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا
سفين بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى املاء من
كتابه قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة
ام المؤمنين رضى الله عنهما يكنا ابا عبد عن ابن لابى هالة عن

الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما * قال سالت خالي
هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه وقرات على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال واجازلنا
الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا ابو علي الحسن
ابن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن
الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب المعروف بابن اخي ابي طاهر العلوي ثنا اسمعيل بن محمد
ابن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب *
حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن
جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال
قال الحسن بن علي رضي الله عنهم اجمعين * واللفظ لهذا السند
قال سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم * وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا
اتعلق به * قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم * فخما
مفخما يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع
واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته
فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين * ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره

الغضب

الغضب • اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى • كالخط عارى الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين • واعالى الصدر طويل الزندين • رحب الراحة شثن الكفين والقدمين • سائل الاطراف اوقال سابن اوقال سائر الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء • اذا زال زال تقلعا • ويخطو تكفوا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب • واذا التفت • التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه • ويبدا من لقيه بالسلام قلت صف لى منطقه • قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم • متواصل الاحزان • دائم الفكرة ليست له راحة • ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه • ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها •

اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها * واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى * واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه * جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام * قال الحسن رضى الله عنه فكتمها الحسين بن على رضى الله عنهما زمانا * ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومخرجه وملبسه وشكله فلم يدع منه شيئا * قال الحسين رضى الله عنه سالت ابى عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له فى ذلك * فكان اذا اوى الى منزله جزاء دخوله ثلثة اجزاء جزاء لله تعالى وجزاء لاهله وجزاء لنفسه ثم جزاء جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة * ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين * ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحتهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغونى * حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك * ولا يقبل من احد غيره * قال فى حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى

فقهاء

فقهاء قلت فاخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم
ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن احد منهم بشره و
خلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على
ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهى به المجلس ويامر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء مجلسه مجلس علم
وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم

ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته في جلسائه فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر حسن الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عتاب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يويس منه قد ترك نفسه من
ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا
لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم
حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يعجبون ويصبر
للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها
فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافي ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين بن وكيع
وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان
لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن
ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراى بما اصلح امته

والقيام

والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله
وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اى البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط
ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل
ازهر حسن ومنه قوله تعالى زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا اى زينتها وهذا كما
قيل في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق
هو الناصع البياض والادم هو الاسمر اللون ومثله في الحديث
الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في
حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفي الحديث الاخر اشكل العين واشجر العين وهو الذى في بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين
الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخي اللحم

والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما و
مشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد
معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو
تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس
الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس
رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و
القدمين لحمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاطراف
اوقال سابن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت
الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل
كنى به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم
وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اى املسهما ولهذا قال ينبوعنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف
هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى ابن مريم اى لم يكن له اخمص
وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع

دفع

رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن الممشى او قصده والهون الرفق
والوقار والدريع الواسع الخطوا ى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كاقال كانما يحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض
وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء
نفسه مايوصل الخاصة اليه فتوصل عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم
يبدلهما فى جزء بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما
عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشىء الحاضر المعد و
الموازره المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تثنى فلتاته
اى يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون
يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافى قيل
مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافى على يد سبقت
من النبى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث اخر
فى وصفه منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث فى ما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره

عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم
لا خلاف انه سيد البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة
عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها
وقد حصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول
في ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب
صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
اذنا بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغاني قال حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن
ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك
قوله تعالى اَصْحَابُ الْيَمِينِ وَاَصْحَابُ الشِّمَالِ فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى
اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَاَصْحَابُ الْمَشْاَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة و
ذلك قوله تعالى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله

تعالى

تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى
كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم
ومن حديث انس رضى الله عنه انا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر
وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم اتانى جبرئيل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله
عليه وسلم ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وعن انس
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق
ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ابمحمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه
صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطنى فى صلبه الى الارض
وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم
ثم لم يزل ينقلنى فى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فيه بقوله شعر

من قبلها طبت فی الظلال وفی * مستودع حیث تخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة ترکب السفین وقد * الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الی رحم * اذا مضی عالم بدا طبق

وروی عنه صلی الله علیه وسلم * ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هریرة وجابر بن عبد الله رضی الله عنهم انه قال صلی الله علیه وسلم * اعطیت خمسا وفی بعضها ستا لم یعطهن نبی قبلی نصرت بالرعب مسیرة شهر وجعلت لی الارض مسجدا وطهورا وایما رجل من امتی ادرکته الصلاة فلیصل واحلت لی الغنایم ولم تحل لنبی قبلی وبعثت الی الناس کافة واعطیت الشفاعة * وفی روایة بدل هذه الکلمة وقیل لی سل تعطه * وفی روایة اخری وعرض علی امتی فلم یخف علی التابع من المتبوع * وفی روایة بعثت الی الاحمر والاسود * قیل السود العرب لان الغالب علی الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم * وقیل البیض والسود من الامم * وقیل الحمر الانس والسود الجن وفی الحدیث الاخر عن ابی هریرة رضی الله عنه * نصرت بالرعب واوتیت جوامع الکلم وبینا انا نائم اذ جیء بمفاتیح خزائن الارض فوضعت فی یدی * وفی روایة عنه وختم بی النبیون * وعن عقبة بن عامر رضی الله عنه * انه صلی الله علیه وسلم * انی فرط لکم وانا شهید علیکم وانی والله لانظر الی حوضی الان وانی قد اعطیت مفاتیح خزائن

الارض

الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي
بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة
العرش وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم بعثت
بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من
ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع
ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك
شفاعتك ولم اخباها لنبي قبلك وفي حديث اخر رواه
حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي
من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب
يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا
كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعلى

هريرة عنه صلى الله عليه وسلم مامن نبيّ من الانبياء الّا وقد
اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانّما كان الذى اوتيت
وحيا اوحى الله الىّ فارجوان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى
هذا عند المحقّقين بقاء معجزته مابقيت الدّنيا وسائر معجزات الانبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها الّا الحاضر لها ومعجزة القران يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول
هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر
باب المعجزات وعن علىّ رضى الله عنه كلّ نبىّ اعطى سبعة نجباء
من امّته واعطى نبيّكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا
منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمّار وقال صلّى الله عليه
وسلّم انّ الله قد حبس عن مكّة الفيل وسلّط عليها رسوله و
المؤمنين وانّها لا تحلّ لاحد بعدى وانّما احلّت لى ساعة من نهار
وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم يقول انّى عبد الله وخاتم النبيّين وانّ ادم لمنجدل فى طينته
وعدة ابى ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عبّاس رضى الله
عنهما قال انّ الله فضّل محمّدا صلّى الله عليه وسلّم على اهل السّماء و
على الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السّماء قال انّ الله
قال لاهل السّماء وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ اِنّى اِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ الاية وقال
لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ

الاية

الاية * قالوا فما فضله على الانبياء * قال ان الله قال وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الاية * وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم *
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ وعن خالد بن معدان رضي الله عنه
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك رضي الله عنهم * فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم
يعني قوله رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ وبشر بي عيسى ورات
امي حين حملت بي انه خرج منها نور داضاءله قصور بصرى من ارض
الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض * وفي حديث
اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي
فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك
الثلج حتى انقياه * قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا
بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلاء ايمانا وحكمة
ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية
ان جبرئيل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال
زنه بمائة من امته فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني

بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ● ثم
قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ●
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك و
وملئكته ● قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى
الامر معاينة ● وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما
ان ادم عليه الصلوة والسلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد
صلى الله عليه وعلى اله وسلم ● اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع
من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ● ويروى
محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه
وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ
وفي رواية اخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك
فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد
اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ● وروى عن سريج
ابن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها
احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ● وروى

ابن

ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم • لما اسري بي الى السماء اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من
ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما • قال على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله
الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها • وذكر انه وجد على
الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين
وذكر السمرقندي انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على
احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله •
وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه
بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله • وروى عن جعفر بن
محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم • وروى ابن
القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك • قال سمعت اهل
مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه صلى الله
عليه وسلم • ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب
العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه
فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزلت وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا اَنْ تَنْكِحُوا اَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ
ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم
تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله
صلى الله عليه وسلم فيما تضمنته كرامة الاسراء من المناجات والرؤية
وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى ومارأى من ايات
ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز
وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي اَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى الاية وقال وَالنَّجْمِ اِذَا هَوَى
الى قوله لَقَدْ رَاَى مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فلا خلاف بين المسلمين في صحة
الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه
احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من
غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
سماعا سماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من
شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس

الرّازى ثنا ابواحمد الجلودىّ ثنا ابن سفين ثنا مسلم
ابن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حمّاد بن سلمة ثنا
ثابت البنانىّ عن انس بن مالك رضى الله عنه انّ رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم قال ثمّ اتيت بالبراق وهو دابّة ابيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدّس فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء
ثمّ دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثمّ خرجت فجاءنى جبرئيل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللّبن فقال جبرئيل اخترت
الفطرة ثمّ عرج بنا الى السّماء فاستفتح جبرئيل فقيل من انت قال
جبرئيل قيل ومن معك قال محمّد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا بادم صلّى الله عليه وسلّم فرحّب بى ودعا لى بخير
ثمّ عرج بنا الى السّماء الثّانية فاستفتح جبرئيل فقيل من انت قال جبرئل
قيل ومن معك قال محمّد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريّا صلّى الله
عليهما وسلّم فرحّبا بى ودعوا لى بخير ثمّ عرج بنا الى السّماء
الثالثة فذكر مثل الاوّل ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلّى الله عليه
وسلّم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحّب بى ودعا لى بخير
ثمّ عرج بنا الى السّماء الرّابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحّب
بى ودعا لى بخير قال الله تعالى وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ثمّ عرج بنا

الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بى ودعالى بخير
ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بى
ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها
كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشى
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الىّ ما اوحى ففرض علىّ خمسين صلوة فى كل يوم وليلة فنزلت الى
موسى فقال مافرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع
الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت
بنى اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف
عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك
قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال يامحمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة و
من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا و
من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت

قد رجعت الى ربّي حتّى استحييت منه جوّد ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا
وقد خلّط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
ابن ابى نمر فقد ذكر فى اوّله مجئ الملك وشقّ بطنه وغسله بماء
زمزم وهذا انّما كان وهو صبىّ وقبل الوحى وقد قال شريك فى حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصّة الاسراء ولا خلاف انّها كانت
بعد الوحى وقد قال غير واحد انّها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل
هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حمّاد بن سلمة ايضا مجئ جبريل
الى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره
وشقّه قلبه تلك القصّة مشهورة مفردة من حديث الاسراء كما رواه
النّاس فجوّد فى القصّتين وفى انّ الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة
المنتهى كان قصّة واحدة وانّه وصل الى بيت المقدس ثمّ عرج به من
هناك فازاح كلّ اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب
عن انس قال كان ابو ذرّ يحدّث انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قال فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى ثمّ غسله بماء زمزم
ثمّ جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها فى صدرى
ثمّ اطبقه ثمّ اخذ بيدى فعرج بنا الى السّماء فذكر القصّة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتاخير وزيادة ونقص وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السّموات

وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء
زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان
لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة • وفي حديث مالك بن
صعصعة رضي الله • فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي تدخل من امته الجنة
اكثر مما تدخل من امتي • وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة
قالوا يا جبرئل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم • خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا •
حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام • ثم ذكر كلام النبي •

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى
على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان
فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل
امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم
بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء بنحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله
عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها
ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع ابن انس فقيل
لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله
اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى

تكليما واعطيت داود ملكا عظيما • والنت له الحديد وسخرت له
الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما • سخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب
في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى
قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس •
واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات
وقال مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى الايتين راى جبرئيل في صورته له ستمائة
جناح • وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام
الله قال • ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع
علي احد • وقد روي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبرئيل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطاير فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى

فقمت

فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفي
ونظرت الى جبرئيل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح
لي باب السماء ورايت النور الاعظم واذا دون الحجاب وفرشه الدر
والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاء
جبرئيل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها
جبرئيل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه
وسلم فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل
من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا
الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال
الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا
عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد
صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وانه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي ما في هذا
الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون

والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بماشاء وكيف شاء
ومتى شاء كقوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ فقوله
فى هذا الحديث الحجاب واذا خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه
حجاب حجب به من وراءه من ملئكته عن الاطلاع عما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك مارايته منذ خلقت قبل
ساعتى هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
فى سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملئكة وعندها يجدون امر الله
لا يجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف
اى يلى عرش الرحمن اوامر ما من عظيم اياته اومبادى حقائق
معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ اى اهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع من هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ اى وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبل رفع الحجاب عن بصره حتى راه
والله اعلم ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء
بروحه اوبجسده على ثلاث مقالات فذهب طائفة الى انه

اسراء

اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق
ووحى والى هذا ذهب معوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه
واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى
اَرَيْنَاكَ • وما حكوا عن عائشة رضى الله عنها ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقوله بينا انا نائم وقول انس
وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرى
بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر
وانس • وحذيفة • وعمر وابى هريرة ومالك بن صعصعة •
وابى حبة البدرى وابن مسعود • والضحاك • وسعيد بن جبير
وقتادة • وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد • والحسن • و
ابراهيم • ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج • وهو دليل
قول عائشة وهو قول الطبرى • وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين • وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت
المقدس والى السماء بالروح • واحتجوا بقوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِى
اَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصٰى فجعل الى المسجد
الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبى محمد صلى الله عليه وسلم • به واظهار الكرامة له

بالاسراء اليه • قال هؤلاء ولوكان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد
الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح • ثمّ اختلف هذه الفرقتان هل
صلّى ببيت المقدس ام لا ففى حديث انس وغيره ماتقدّم من صلاته
فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله مازالا عن ظهر البراق حتّى
رجعا • قال القاضى المصنّف رضى الله عنه والحقّ من هذا والصّحيح ان
شاء الله انّه اسراء بالجسد والرّوح فى القصّة كلّها وعليه تدلّ الاية وصحيح
الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظّاهر والحقيقة الى التّاويل الّا
عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وفى حال يقظته استحالة اذ لو
كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى
ولوكان مناما لماكانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفّار ولاكذّبوه
فيه ولا ارتدّ به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لاينكر
بل لم يكن ذلك منهم الّا وقد علموا انّ خبره انّماكان عن جسمه وحال يقظته
الى ماذكر فى الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية
انس او فى السّماء على ماروى غيره وذكر مجئ جبريل له بالبراق وخبر
المعراج واستفتاح السّماء فيقال ومن معك فيقول محمّد ولقائه الانبياء
فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه فى فرض الصّلوة ومراجعته مع موسى
فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار فاخذ يعنى جبريل بيدى فعرج بى الى السّماء
الى قوله ثمّ عرج بى حتّى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانّه
وصل الى سدرة المنتهى وانّه دخل الجنّة ورأى فيها ماذكره • قال ابن

عبّاس

عباس هي رؤيا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم • لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جائني جبرئيل فهمزني بعقبه فقمت •
فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ •
بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق • وعن ام
هاني رضي الله عنها قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر
اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني
لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس
فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه •
وعن ابي بكر رضي الله عنه • من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم • ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك
فلم اجدك فاجابه ان جبرئيل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها • وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبرئيل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم
الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلق بي الى زمزم
فشرح صدري • وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني
عن مسراي فسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط •

فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر • وقد روى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فى حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم • انه قال ثم رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها والله اعلم فصل فى ابطال حجج من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ فسماها
رؤيا قلنا قوله سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ يرده لانه لا يقال فى النوم انه
اسرى وقوله فِتْنَةً لِلنَّاسِ يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص اذ ليس فى الحلم
فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون
فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه •
الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى نفوس
الناس من ذلك • وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها فى الحديث •
مناما وقوله فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان
وهو نائم ثم اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائما
فى القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل
قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته صلى الله
عليه وسلم • ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان فى بعضه وقد
يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما •
طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الا
على ومَا رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا

وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اهل الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه
لئلا يشغله شيء من المحسوسات عند الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته
بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبّر
بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن
حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا
في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس وهي منكرة
من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره صلى الله
عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع
كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين
من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه فقال مرة عن مالك بن
صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقد
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه
ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء
متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه

بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام
وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه
لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة
دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم ترجح خبرها على خبر غيرها وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث
عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ
وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روى في حديث عايشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا
يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال
تعالى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه
رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق
رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي
وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو الفضل الصيقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا

ثنا

ثنا عبد الله بن علي ۔ ثنا محمود بن ادم ۔ ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر
عن مسروق ۔ انه قال لعائشة رضي الله عنها ۔ يا ام المؤمنين هل راى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبرئيل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع
رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ۔ وعن ابن عباس
انه راه بعينه وروى عطاء عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه
بفؤاده مرتين ۔ وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله
هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه ۔ روي
عنه ذلك من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وخص ابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية صلى الله عليهم وسلم ۔ وحجته قوله مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۔ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۔ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى قال
الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه
محمد مرتين وكلمه موسى مرتين ۔ وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث
السمرقندي الحكاية عن كعب ۔ وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن
عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمد قد راى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ۔ وقال ان الله قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك

عن ابى ذر فى تفسير الاية قال راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه
وحكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى وربيع بن انس ان النبى صلى الله
عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادى ولم اره بعينى
وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى
عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه
ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب
عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل راى
محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول
بحديث ابن عباس بعينه راه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد وقال
ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى الدنيا
بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف
فى تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى
عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبرئل
وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء فى قوله
اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وجماعة من اصحابه انه راى الله
ببصره وعينى راسه وقال كل اية اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام
فقد اوتى مثلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل

الرؤية

الرّؤية ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز ان يكون • قال القاضى ابو الفضل المصنّف رحمه الله والحقّ الذى
لا امتراء فيه انّ رؤيته تعالى فى الدّنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السّلام لها ومحال ان يجهل
نبىّ ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الّا جائزا غير مستحيل ولكن
وقوعه ومشاهدته من الغيب الّذى لا يعلمه الّا من علّمه الله فقال له الله
لَنْ تَرَانِى اى لن تطيق ولن تحمل رؤيتى ثم ضرب له مثالا ممّا هو اقوى
من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكلّ هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا امتناعها اذ كلّ موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجّة
لمن استدلّ على منعها بقوله تعالى لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ لاختلاف
التاويلات فى الاية واذ ليس يقتضى قول من قال فى الدّنيا الاستحالة
وقد استدلّ بعضهم بهذه الاية على جواز الرّؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لَا تُدْرِكُهُ ابصار الكفار وقد قيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عبّاس • وقد قيل لا تدركه الابصار وانّما
يدركه المبصرون وكلّ هذا تاويلات لا تقتضى منع الرّؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجّة لهم بقوله لَنْ تَرَانِى الاية وقوله تبت اليك لما قدّمناه
ولانّها ليست من العموم ولانّ من قال معناها لن ترانى فى الدّنيا انّما
هو تاويل وايضا فليس فيه نصّ الامتناع وانّما جاءت فى حقّ موسى

وحيث تتطرّق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل
وقوله تبت اليك اى من سؤالى ما لم تقدّره لى وقال ابو بكر الهذلى فى قوله
لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الىّ فى الدنيا وانه من نظر الىّ مات
وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا
ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وكونها متغيرة عرضا للافات والفناء
فلم يكن لهم قوّة على الرؤية فاذا كان فى الاخرة وركبوا تركيبا اخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير فى الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان فى الاخرة ورزقوا ابصارا
باقية رئى الباقى بالباقى وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوّى الله من شاء من عباده واقدره
على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع فى حقه وقد تقدّم ما ذكر فى قوّة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوّة الهية منحاها
لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم • وقد ذكر القاضى
ابو بكر فى اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه انّ موسى عليه السلام
راى الله فلذلك خرّ صعقا وانّ الجبل راى ربّه فصار دكّا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله وَلَكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنِ
اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى ثم قال فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَعِقًا • وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول • وقال

جعفر بن

جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والقول بانه
راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم
والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم
يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله
حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى
نوراني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى نور اني اراه وفي حديثه
الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على
صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله
وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور
اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل الحديث
الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي
مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر
في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب

اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاة الله وكلامه معه بقوله فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهِ مَا اَوْحٰى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله عز وجل الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليهما وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكى عن الاشعري وذكره عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دَنَا فَتَدَلّٰى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملئكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم بكلام الله من الاية فذكر

فيه فقال الملك الله اكبر الله هو اكبر فقيل لى من وراء الحجاب صدق
عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجئ الكلام
فى مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا انشاء الله مع ما يشبهه
فى اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن
اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى الشرع قاطع يمنعه
فان صح فى ذلك خبر احتمل عليه وكلامه لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك
فى الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد
فى الحديث فى السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه
وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل
فى حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم
فوق بعض درجات فصل واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر
الاية من الدنو والقرب من قوله دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنٰى
فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما
السلام او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى قال
الرازى وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا
فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب وقيل هما
بمعنى واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس
هو الرب عز وجل دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده

محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ماشاء ان يريه
من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى
الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى
من ربه قال فارقني جبرئل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام
ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبرئل الى سدرة المنتهى ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بماشاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسراء وعن محمد
ابن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا محمد صلى الله
عليه وسلم من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد
ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد الدنو
من الله لاحد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية
عن الدنو الا ترى كيف حجب جبرئل عن دنوه ودنا محمد صلى الله
عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون
قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي
ابو الفضل المصنف رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو
والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى
بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي
صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته منه
وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه

وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول
في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال و
اجمال وقبول واحسان قال الواسطي ومن توهم انه بنفسه دنا
جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد قوله قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ لمن جعل
الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من
محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب
واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه
ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول
فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي
ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد
الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع ابن انس
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذ بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث

انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ا
ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف
على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون ٭ وعن ابى هريرة رضى الله
عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى ٭ وعن ابى سعيد رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ انا سيد ولد ادم
يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما نبى يومئذ آدم فمن
سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر ٭
وعن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ٭ انا سيد ولد ادم يوم
القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ٭
ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها
ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا ٭
وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم ٭ انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين ٭ وذكر حديث
الشفاعة وعن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر

اما

اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما
فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان
عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار صلى الله
عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ يلجاء
الناس اليه فى ذلك اليوم فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجاء
الناس اليه فى حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر
لم يزاحمه احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال الله لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ
ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ والملك له تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة
انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا وكذلك لجاء الى محمد
صلى الله عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرة
دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه
سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله

وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق • وفي رواية حارثة بن
وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء • وقال ابن عمر
كما بين الكوفة والحجر الاسود • وروى حديث الحوض ايضا انس
وجابر • وسمرة • وابن عمر • وعقبة بن عامر • وحارثة بن وهب الخزاعي
والمستورد • وابو برزة الاسلمي • وحذيفة بن اليمان وابو امامة
وزيد بن ارقم وابن مسعود • وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد •
وسويد بن حبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو
هريرة والبراء وجندب وعايشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين فصل •
في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله
عليه وسلم • على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن
ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم
وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه • ثنا القاضي ابو الوليد
ثنا عبد الله بن احمد بن احمد • ثنا ابو الهيثم • ثنا ابو عبد الله محمد
ابن يوسف • ثنا محمد بن اسمعيل • ثنا عبد الله بن محمد • ثنا
ابو عامر • ثنا فليح • ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم • انه قال لو كنت متخذا خليلا •
غير ربي لاتخذت ابا بكر • وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود • وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا

وعن

وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ينتظرونه قال فخرج حتّى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا انّ الله تعالى اتّخذ من خلقه ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلّمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلّم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم انّ الله اتّخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجيّ الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اوّل شافع واوّل مشفّع ولا فخر وانا اوّل من يحرّك حلق الجنّة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاوّلين والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة من قول الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم انّى اتّخذتك خليلا فهو مكتوب فى التورية انت حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل المصنّف رضى الله عنه اختلف فى تفسير الخلّة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الذى ليس له فى انقطاعه اليه ومحبّته له اختلال وقيل الخليل المختصّ واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلّة الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانّه يوالى فيه ويعادى فيه وخلّة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير

المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه
قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمة ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه
جبرئيل وهو المنجنيق ليرمى فى النار فقال الك حاجة قال اما اليك
فلا • وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التى توجب
الاختصاص بتخلل الاسرار • وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى فى كتابه
العزيز بقوله وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارٰى نَحْنُ اَبْنٰٓاءُ اللّٰهِ وَاَحِبّٰٓاؤُهُ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال
الله تعالى اِنَّ مِنْ اَزْوٰاجِكُمْ وَاَوْلٰادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ولا يصح ان تكون
عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه
والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار
الهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء
قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ولو كنت متخذا خليلا • لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام •
واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة

المحبة

المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا يكون الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي ولم يتخذه وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم فاصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله منزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فلا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القران يرضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله شعر قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة

وكفى بقوله قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ الاية حكى اهل التفسير
ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه
الاية قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وقد
نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة
والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر
منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والحبيب يصل
لحبيبه به من قوله فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله لِيَغْفِرَ لَكَ
اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ الاية والخليل قال وَلَا تُخْزِنِي والحبيب قيل له يَوْمَ لَا يُخْزِي
اللَّهُ النَّبِيَّ فابتدا بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ والخليل قال وَاجْعَل لِّي لِسَانَ
صِدْقٍ والحبيب قيل له وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ اعطي بلا سؤال والخليل قال
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ والحبيب قيل له إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا
المقال من تفضيل المقامات والاحوال وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ

بمن

بمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيلًا فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود
قال الله تعالى عَسٰى اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى الجيانى فيما كتبه به الى بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم بن على قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله عَسَى اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا فقال هى الشفاعة وروى كعب ابن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفى رواية هذا المقام الذى اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابى موسى

عنه صلى الله عليه وسلم * خيرت بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين *
الخطائين * وعن ابى هريرة قال قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
فى الشفاعة قال شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه * وعن ام حبيبة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم * اريت ما تلقى امتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتينى شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل * وقال حذيفة يجمع الله الناس فى صعيد واحد يسمعهم
الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه
فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك
والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجاء ولا منجا *
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود
الذى ذكر الله * وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار والجنة الجنة
فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة
الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة
فيسالون ادم وغيره بعده فى الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا *
محمدا صلى الله عليه وسلم * فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه
عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين عن النبى *
صلى الله عليه وسلم * وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت

بمقام

بمقام محمد صلى الله عليه وسلم • يعنى الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال
فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم • المحمود الذى يخرج الله به من يخرج
يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس
نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن شيبان رضى الله
عنه المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيمة وعن انس نحوه •
وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده وقال قتادة كان اهل العلم
يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه
صلى الله عليه وسلم • للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة و
التابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة فى صحيح الاخبار
عنه صلى الله عليه وسلم • وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة
عن بعض السلف يجب ان لا يثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سديد
نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ذا فسره النبى صلى الله
عليه وسلم • فى صحيح الاثار يرده فلا نحب ان نلتفت اليه مع انه لم يات
فى كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفى اطلاق ظاهره منكر
من القول وشنعة وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم فى حديث بعض • قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة فيهتمون لذلك او قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم فى بعض
وعن ابى هريرة وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون

ولا يحملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم فيقولون
زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
واسكنك جنته واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم نغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون
ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا
الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا
لم يغضب فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست
لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية
وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته
التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى روح الله
وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله

له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستاذن
على ربى عز وجل فيؤذن لى فاذا رايته وقعت ساجدا وفى رواية فاتى تحت
العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها
الان يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء
عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد
ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فادفع راسى فاقول يا رب امتى
يا رب امتى فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر
فى رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لى يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتى امتى
فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل
الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل
ما تقدم • وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر فى المرة الرابعة فيقال لى ارفع راسك وقل يسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من
النار من قال لا اله الا الله ومن فى رواية قتادة عنه قال ولا ادرى
فى الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسه القران

اى وجب عليه الخلود • وعن ابى بكر وعقبة بن عامر وابى سعيد و
حذيفة مثله قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتى الامانة والرحم فيقومان
جنبى الصراط وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع
ويضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال
ونبيكم صلى الله عليه وسلم • على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى
يجتاز الناس وذكر اخرهم جواز الحديث • وفى رواية ابى هريرة فاكون
اول من يجيز • وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم • يوضع للانبياء
منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى ربى عز
وجل منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد
امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب
ربك فى امتك من نقمة • ومن طريق زياد النميرى عن انس رضى الله
عنه • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعى
لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتى فاخذ بحلقة
الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار عز وجل
فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم • ومن رواية انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم • يقول لاشفعن يوم القيمة

لاكثر

لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه
الاثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول
الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن
فيشفع فى تعجيل من لاحساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم
فى الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله
وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبى دعوة يدعو بها واختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبى منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها من الرجاء والخوف وضمنت
لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال
محمد بن زياد وابو صالح عن ابى هريرة فى هذا الحديث لكل نبى
دعوة دعا بها فى امته فاستجيبت له وانا اريد ان اؤخر دعوتى
شفاعة لامتى يوم القيمة وفى رواية ابى صالح لكل نبى دعوة
مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ونحوه فى رواية ابى زرعة عن

ابى هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون
هذه الدعوة المذكور مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد
اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين
والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم
الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى
نبيا عن امته وصلى عليه وسلم كثيرا فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضى ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمى والفقيه ابو الوليد هشام ابن احمد بقراءتى
عليه قالا ثنا ابو على الغسانى ثنا النمرى ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب
عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابو ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمع النبى صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
على فانه من صلى على صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لى
الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سال الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفى
حديث اخر عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة
اذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبرئل ما هذا قال هذا

الكوثر

الكوثر الذى اعطاكه الله ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا
وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفى رواية عنه صلى الله
عليه وسلم فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
قال الكوثر الخير الذى اعطاه الله وقال سعيد بن جبير والنهر الذى
فى الجنة من الخير الذى اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله
عليه وسلم عن ربه عز وجل واعطانى الكوثر نهر فى الجنه يسيل
فى حوضى وعن ابن عباس فى قوله تعالى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفى رواية اخرى فيه ما ينبغى له من الازواج والخدم فصل فان
قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه
صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثنا الاسدى ثنا
السمرقندى ثنا الفارسى ثنا الجلودى ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة
قال سمعت ابا العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعنى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما
ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا الطريق

عن ابى هريرة قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى
لعبد الحديث • وفى حديث ابى هريرة فى اليهودى الذى قال
والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول
ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك
النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى • وعن ابى هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب • وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن
متى • وفى حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك
ابراهيم فاعلم ان للعلماء فى هذه الاحاديث تاويلات احدهما ان نهيه
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ
يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول
ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو وانما هو فى الظاهر كف
عن التفضيل الوجه الثانى انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق
التواضع ونفى التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم والغض
منه لا سيما فى جهة يونس عليه السلام • اذ اخبر الله عنه بما اخبر
لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون • اذ ذهب مغاضبا

فظن

فَظَنَّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فربّما تخيّل لمن لا علم عنده خطيئته بذلك
الوجه الرابع منع التّفضيل في حقّ النّبوّة والرّسالة فانّ الانبياء فيهما
على حدّ واحد اذ هي شئ واحد لا يتفاضل وانّما التّفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرّتب والالطاف وامّا النّبوّة
في نفسها فلا تتفاضل وانّما التّفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك
منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرّسل ومنهم من رفع مكانا عليّا
ومنهم من اوتى الحكم صبيّا واوتى بعضهم الزّبر وبعضهم البيّنات ومنهم
مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ قال الله تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ
عَلٰى بَعْضٍ الاية وقال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ الاية قال بعض
اهل العلم والتّفضيل المراد لهم هنا في الدّنيا وذلك بثلاثة احوال احدها
ان يكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امّته ازكى واكثر او يكون
في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصّه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلّة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روى انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
قال انّ للنّبوّة اثقالا وانّ يونس تفسّخ منها تفسّخ الرّبع فحفظ صلّى الله
عليه وسلّم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في
نبوّته او قدح في اصطفائه وحطّ من رتبته وهن في عصمته شفقة منه
صلّى الله عليه وسلّم على امّته وقد يتوجّه على هذا التّرتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اى لا يظنّ احد وان بلغ

من الذكاء والعصمة والطهارة مابلغ انه خير من يونس لاجل ماحكى الله
عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها
حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان شاء الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل
فى اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران
موسى بن تليد الفقيه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر
ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن
شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى
الذى يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا
العاقب وقد سماه الله عز وجل فى كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه
تعالى له ان ضمن اسمائه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد
فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله
عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر
فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده
يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد
كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته فى كتب انبيائه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجائب

خصائصه

خصائصه وبدائع اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد
قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى
بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس
على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب
ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده
ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك
رجاء ان يكون احدهم هو والله اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وهم محمد
ابن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن
براء الكندى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى
ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم ويقال ان اول من سمى بمحمد
محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله
كل من تسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب
يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر
ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما
زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما
بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وقد
ورد تفسيره فى الحديث انه الذى محيت به سيات من اتبعه وقوله
عليه الصلوة والسلام وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى

اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال تعالى وخاتم
النبيين وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقيل معنى
على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى كما قال تعالى لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ومعنى قوله لى خمسة اسماء
قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم لى عشرة اسماء
فذكر منها طه ويس حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه
انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى
وجعفر بن محمد وذكر غيره لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث
الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
ولنا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذى
وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد
عن الحربى وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبياء
قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد
الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله
عليه وسلم لى فى القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه
والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث ابن حويث عن جبير
من مطعم هى ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب ماحى

وفى حديث

وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم
يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان
شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وَمَا
اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم
وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله
عليه وسلم ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها
صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى صلى الله عليه وسلم عليها فقال
ان الله يحب من عباده الرحماء وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية
نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه
وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله عليه
وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو في صفته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت

من ألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما
ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين
وقدم الصدق ورحمة العالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة
وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب
الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس
وروح الحق وهو معنى الفارقليط في الانجيل وقال ثعلب الفارقليط
الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ
ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار

قال

قال ثعلب فالخاتم الذى ختم الانبياء • والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا • ويسمّى بالسريانية مشقح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية احيد • روى ذلك عن ابن سيرين • ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقابل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء • واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم • العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمين • واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة • وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة صلى الله عليه وسلم • ابا القاسم وروى انس رضى الله عنه انه لما ولد له ابراهيم جاء جبرئيل عليهما الصلوة والسلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى • قال القاضى ابو الفضل المصنف رحمه الله ما اجرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لا نخراطه فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب مطيتها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر فى استخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل • الذى قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص • كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحق واسمعيل

بعليم وحليم • وابراهيم بحليم • ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر •
وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم • وايوب بصابر واسمعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا
نبينا صلى الله عليه وسلم • بان حلاه منها فى كتابه العزيز • وعلى السنة
انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا
منها فى هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها
وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه • فمن اسمائه
تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا
بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه
وسلم • محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله
شعر وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
ومن اسمائه تعالى الرؤف والرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم • ومن اسمائه الحق المبين ومعنى
الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان
وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم • بذلك فى كتابه فقال حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ
وقال وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ • وقال قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ • وقال فَقَدْ

كذبوا

كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران و
معناه مناضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين
المبين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه ومنور
السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه
نورا فقال قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ قيل محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل القران وقال فيه وَسِرَاجًا مُنِيرًا سمى بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه
شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شَاهِدًا وقال وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير
وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه
تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قيل محمد
وقيل جبرئيل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم ومعانى الاسم
صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم
وَاِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ووقع فى اول سفر من التورية عن اسمعيل عليه
السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه
تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان

وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم اولقهره اعداءه ولعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القران جبلّية التكبّر التي لا تليق به فقال وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل مبتدى الفتح النصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله

عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ودفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق
او المبتدى بهداية الامة او المبتداء المقدم في الانبياء والخاتم لهم
كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل
وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال
إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لَئِنْ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
وقال تعالى وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل
وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار

الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه و
سلم نحن الاخرون السابقون • وقوله صلى الله عليه وسلم • انا
اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول
مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليهم وسلم •
ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين • ومعناه القادر
وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ
قيل محمد وقيل جبرئيل • ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث المأثور
وورد فى الحديث ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم • بالصادق المصدوق
ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر • وقد قال الله
تعالى اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وقال صلى الله عليه وسلم • انا ولى
كل مؤمن وقال الله تعالى اَلنَّبِىُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ الاية •
وقال صلى الله عليه وسلم • من كنت مولاه فعلى مولاه • ومن اسمائه
تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله
عليه وسلم فى القران والتورية وامره بالعفو فقال خُذِ الْعَفْوَ وقال
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ وقال لجبرئيل وقد ساله عن قوله خذ العفو فقال
ان تعفو عمن ظلمك • وقال فى التورية والانجيل فى الحديث المشهور
فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح • ومن اسمائه تعالى
الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى وَاللّٰهُ يَدْعُوا اِلٰى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ

الى صراط

الى صراط مستقيم • واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير
طه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم • وقال تعالى
وَاِنَّكَ لَتَهْدِى الى صراط مستقيم • وقال تعالى فيه وَدَاعِيًا اِلَى اللهِ
بِاِذْنِهِ والله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى اِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ
اَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن
فى حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله • وقيل الموحد نفسه • وقيل المؤمن عباده
فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين فى الاخرة من عذابه • وقيل المهيمن بمعنى
الامين • مصغر منه فقلبت الهمزة هاء • وقد قيل ان قولهم فى الدعاء
امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن • وقيل المهيمن بمعنى
الشاهد والحافظ • والنبى صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله امينا فقال مُطَاعٍ ثَمَّ اَمِينٍ • وكان صلى الله عليه وسلم
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس فى شعره
مهيمنا فى قوله شعر ثم احتوى بيتك المهيمن من • خندف عليا تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبى والامام ابو القسم القشيرى وقال
تعالى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ اى يصدق وقال صلى الله عليه وسلم
انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن • ومن اسمائه تعالى القدوس و
معناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس

لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع
فى كتب الانبياء من اسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس اى المطهر من
الذنوب كما قال تعالى لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى وَيُزَكِّيهِمْ
وقال تعالى وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ او يكون مقدما بمعنى
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى
العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى لا نظير له او المعز لغيره وقال الله
تعالى وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف
الله نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ
وَرِضْوَانٍ وقال تعالى اِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى وَبِكَلِمَةٍ مِنْهُ وسماه الله
تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس
وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم فصل قال القاضى ابو الفضل المصنف رحمه الله وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها
فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوى التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه فى عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته
ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه

بينهما

جنهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان
ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه
وكفى فى هذا قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ولله در من قال من العلماء العارفين
المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات
وزاد هذه النكتة الواسطى بيانا وهى مقصودنا فقال ليس كذاته ذات
ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ
اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حدثية كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضى الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيرى رحمه الله قوله
هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف يشبه
فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض
وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
وقال اخر مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمان الى موجود انتهى
اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفى المحض فهو معطل وان قطع
بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول
ذى النون المصرى رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله

تعالى فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بغير مزاج وعلة كل شئ صنعه و
لا علة لصنعه وما تصور فى فهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس
محقق والفصل الاخر تفسير لقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ والثانى تفسير لقوله
تعالى لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ والثالث تفسير لقوله إِنَّمَا قَوْلُنَا
لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثبتنا الله واياك على التوحيد
والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه وكرمه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضى ابو الفضل حسب المتامل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا تتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدى وحده وفساد
قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته
لتدل على عظم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره
مما بلغ القطع اوكاد واضفنا اليها بعض ما وقع فى مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة
علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه

والايمان

والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
ابن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب
عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن
جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة
التيمي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما
رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره
ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل ما ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير
رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر

فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا • وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود ويشهد انه نبى وقال نفطويه فى قوله يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة شعر • لو لم تكن فيه ايات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر وقد ان ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى معجزة • القران وما فيه من برهان ودلالة فصل • اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير فى قوله وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدى من النبى صلى الله عليه وسلم • قائم مقام قول

الله صدق عبدی فاطیعوه واتبعوه وشاهد علی صدقه فیما یقوله و
هذا کاف والتطویل فیه خال عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفیا
فی مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة فی لغة من همز مأخوذ من النبأ
وهو الخبر وقد لا یهمز علی هذا التاویل تسهیلا والمعنی ان الله
اطلعه علی غیبه واعلمه انه نبیه فیکون نبی منبأ فعیل بمعنی مفعول
او یکون مخبرا عما بعثه الله به عز وجل ومنبئا بما اطلعه الله علیه فعیل بمعنی
فاعل ویکون عند من لم یهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شریفة ومکانة نبیهة عند مولاه منیفة فالوصفان
فی حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم یات فعول بمعنی مفعل
فی اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الی من ارسله الیه
واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم
بعضا فکانه الزم تکریر التبلیغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء
هل النبی والرسول بمعنی او بمعنیین فقیل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالی وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
وَلَا نَبِيٍّ فقد اثبت لهما معنی الارسال قال ولا یکون النبی الا
رسولا ولا الرسول الا نبیا وقیل هما مفترقان من وجه اذ قد
اجتمعا فی النبوة التی هی الاطلاع علی الغیب والاعلام بخواص النبوة
او الرفعة لمعرفة ذلک وحوز درجتها وافترقا فی زیادة الرسالة
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام کما قلنا وحجتهم من الایة

نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما
فى الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبىّ الى امّة او نبىّ ليس بمرسل
الى احد وقد ذهب بعضهم الى انّ الرّسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات
به نبىّ غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصّحيح والذى عليه
الجمّ الغفير انّ كلّ رسول نبىّ وليس كلّ نبىّ رسولا واوّل الرّسل آدم
واخرهم محمّد صلّى الله عليهم وسلّم ۔ وفى حديث ابى ذرّ عنه
صلّى الله عليه وسلّم ۔ انّ الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبىّ
وذكر انّ الرّسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اوّلهم ادم فقد بان لك
معنى النّبوّة والرّسالة وليستا عند المحقّقين ذاتا للنبىّ ولا وصف ذات
خلافا للكراميّة فى تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحى
فاصله الاسراع فلمّا كان النّبىّ يتلقّى ما ياتيه من ربّه بعجل سمّى وحيا وسمّيت
انواع الالهامات وحيا ۔ تشبيها بالوحى الى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ۔
وسمّى الخطّ وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحى الحاجب واللّحظ سرعة
اشارتهما ۔ ومنه قوله تعالى فَاَوْحٰى اِلَيْهِمْ اَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا
اى اوماء ورمز وقيل كتب ۔ ومنه قولهم الوحا الوحا اى السّرعة
وقيل اصل الوحى السّرّ والاخفاء ۔ ومنه سمّى الالهام وحيا ومنه قوله
تعالى وَاِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوحُوْنَ اِلٰى اَوْلِيَائِهِمْ اى يوسوسون فى
صدورهم ومنه قوله وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوْسٰى اى القى فى قلبها وقد قيل ذلك
فى قوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اى ما يلقيه فى قلبه دون

واسطة

واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ماجاءت به الانبياء معجزة هو ان
الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى
الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راى بعضهم ونحوه وضرب
هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبى
من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتى بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات
التى ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية
واظهرهم برهانا كما سنبينه وهى فى كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا
منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان
النبى صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال
اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها
وقدرها معجزة ثم فيه فى نفسه معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا
ونقل الينا متواترا كالقران ولا مرية ولا خلاف فى مجىء النبى صلى الله
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند
جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وانما جاء

اعتراض الجاحدين ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
قال بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله
عليه وسلم ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه
جميعها فلا مرية فى جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت
على يديه عجائب وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا
كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل
هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم
ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر
بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثانى ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير
الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما
قدمنا قال القاضى ابو الفضل المصنف رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا
من هذه الايات الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق
القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل
وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقى الشك على ضعفاء قلوب

المؤمنين بل نزغم بهذا انفه ونخبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة متصلا عن من حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القران وخطاء بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن

العيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة و
هذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاد ابو بكر
وغيرهما وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه
القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر
عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس
لا يعرفون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك
بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلاة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان
مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء و
اشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا
عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله
تعالى فصل في اعجاز القران العظيم اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله
العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه

وبلاغته

وبلاغته الخارقة عادت العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان
وفرسان الكلام قد خصّوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم
واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يفيد
الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون
منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها فى
المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآلى فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن و
يجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف فى القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها
وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين وتفننوا فى الغث و
السمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر فما راعهم

الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد • احكمت اياته • وفصلت كلماته • وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول • وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه • وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه • وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افصح
ما كانوا في هذا الباب مجالا • واشهر في الخطابة رجالا • واكثر في السجع والشعر
ارتجالا • واوسع في الغريب واللغة مقالا • بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَإِنْ كُنْتُمْ
فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ الى قوله ولن تفعلوا •
وَقُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
الاية • وَقُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ • وذلك ان المفترى اسهل و
وضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان
اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له • وفلان يكتب كما يريد وللاول
على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد • فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته

مخادعون

مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ • وَسِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ • وَإِفْكٌ افْتَرَاهُ • وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَالْمُبَاهَتَةِ والرضا بالدنية كقولهم قُلُوبُنَا غُلْفٌ • وَفِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب • ولَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ والادعاء مع العجز بقولهم لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا الاية • وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين • بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم • إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق • وان اعلاه لمثمر • ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع رجلا اخر يقرا فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بنائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين تقرا اية من كتابكم فتاملتها فاذا هو قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم •

من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ الاية • وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او تعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وَاَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين • وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة • معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ وقوله وَلَوْ تَرٰى اِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَاُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ • وقوله اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ • وقوله وَقِيلَ يَا اَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اَقْلِعِي الاية • وقوله فَكُلًّا اَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من اعجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف

في عادة

فى عادة الفصحاء عند ها الكلام وتذهب ماء البيان اية لمتا ملها من ربط الكلام بعضه ببعض والتام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلف العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور فى النفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثانى من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت مقاطع ايه وتنتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شئ منه بل حارت فيه عقولهم وذهلت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا وفى خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم و قال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه

ساحر فانه يفرّق سحر بين المرء وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرّقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى فى الوليد ذرني ومن خلقت وحيدًا الايات ٭ وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم انى لم اترك شيا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ٭ وقال النضر ابن الحارث نحوه ٭ وفى حديث اسلام ابى ذرّ ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابى ذر بخبر النبى صلى الله عليه وسلم ٭ قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على قراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه ٭ وقد اختلف ائمة اهل السنة فى وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع فى قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن

نظم

نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون فى مقدور البشر وانه من
باب الخوارق الممتنعة عن اقتدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن القابسى الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت
مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من الاصحاب وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله
قاطع وهو ابلغ فى التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجئ بشر مثلهم بشئ ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم اوفرهم قدرة على
الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد
ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا فى ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فايسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان
من اعجازه فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات
وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لَتَدْخُلُنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ اِنْ شَاءَ اللهُ اٰمِنِينَ وقوله وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

وقوله ليظهره على الدين كله • وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية • وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين • ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم • وما في بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم • زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون • فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا على كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم ما ينيف على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله • ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تبارك وتعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان • كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال تعالى مبدا ما قدره الله واعتقده

المؤمنون

المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم • ومنه قوله تعالى إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ولما
نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم • بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله •
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك
معروفة كثيرة صحيحة فصل • الوجه الرابع ما انبأ به من الاخبار بالقرون
السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى
صلى الله عليه وسلم • على وجهه ويأتى به على نصه فيعرف العالم بذلك بصحته
وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم • وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا منافثة لم يغب عنهم ولا جهل حاله واحد
منهم • وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان
وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما فى التورية والانجيل و
الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موقن امن بما سبق له من خير و
من شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وتثاقل احتجاجه عليهم بما فى كتبهم

وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم
واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائل على نفسه وما حرم
عليه من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله
سبحانه وتعالى مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني احطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض
المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته
وكشف دعوته فقيل له فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ الى قوله الظالمون
الاية فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده و
متواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله
من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ
الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز
قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
تعالى لليهود قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً الاية قال ابو اسحق

الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال
لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن تمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم • والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله
عليه وسلم • وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فظهرت بذلك معجزته وبانت
حجته • قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا
واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم • يقدم عليه ولا يجيب
اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه فيهم وكذلك اية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى
اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية •
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط
فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وَاِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا الى قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون فكان كما قال وهذه الاية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها •
فصل • ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه
والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين
به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال الله تعالى
ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم • ان القران

صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم • واما المؤمن فلا تزال روعته به
وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه
به قال تعالى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
اِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ • وقال تعالى لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ الاية ويدل على
ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى
عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مما بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها اول
وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم • قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم • يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية اَمْ خُلِقُوا
مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ اَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي
رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي • وعن عتبة بن ربيعه انه كلم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم فصلت
الى قوله صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله
عليه وسلم • وناشده الرحم ان يكف • وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم • يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم • وقام عتبة لا يدري بما
يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله
لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط والله ما دريت ما اقول له
وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها •

عن

عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمرّ بصبيّ يقرا
وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ
الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني
على التوبة والاستغفار **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية
باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ وقال لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق
الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم
مدة خمسمائة عام او خمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته
قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم
اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم
كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا
الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه
في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له

محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغ يمل مع
الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته
في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا تستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا
تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل ولا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا
تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة
ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط
بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع
والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها
فلم يقدروا عليها كقوله أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وقُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا
اللَّهُ لَفَسَدَتَا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار
الدار الاخرة ومحاسن الادب والشيم قال الله جل اسمه مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ولَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ
مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا
وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباؤكم وخبر من كان قبلكم ونبا ما بعدكم

وحكم

وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال
وصدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر
ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن
اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة
الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشانا فيه نبا الاولين
والاخرين وفى الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انى منزل
عليك تورية حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول و
نور الحكمة وقال الله تعالى اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَقُصُّ عَلٰى بَنِىٓ اِسْرَاۤئِلَ اَكْثَرَ الَّذِىْ
هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ وقال تعالى هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى الاية فجمع فيه مع و
جازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها على الضعف
منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه يحتج بنظم القران
وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالى له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة
منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد ولم يكن فى حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح فى الاذان واحلى على
الافهام فالناس اليه اميل والاهوية اليه اسرع ومنها تيسره تعالى

حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجملة على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام * ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره

عنهم

عنهم يعد في خواصه وفضائله وفي اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجايبه التي لا تنقضي
وبالله التوفيق فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَاِنْ يَرَوْا اٰيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ
اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته
واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه حدثنا القاضي الحسين بن محمد
الحافظ من كتابه تنا سراج بن عبد الله تنا الاصيلي تنا المروزي
تنا الفربري تنا البخاري تنا مسدد تنا يحيى عن شعبة وسفين
عن الاعمش عن ابراهيم عن معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان
بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا
ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسالوا من ياتيكم
من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى
السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل
الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا
فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر وقد رواه عن ابن مسعود ايضا

علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله • وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن
مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ • ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه
جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه
عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل
لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن
لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد
واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من
قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بينه وبين قوم سحاب
او جبال ولهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها كلية
وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز
العليم • واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد

ذلك

ذلك واهتبل به وكذلك ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهد ونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوى فى مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه فى حجر على فلم يصلى العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا على فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء فى خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوى ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجئ قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضى الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى

عليه • ثنا القاضي عيسى بن سهل • ثنا ابو القاسم خاتم بن محمد ثنا ابو عمر
بن الفخار • ثنا ابو عيسى • ثنا يحيى • ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي
طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم • وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي •
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع
من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم • ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم
زهاء ثلثمائة • وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس • وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه
عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا • واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم • وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع
من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي الصحيح عن سالم بن ابي
الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا
ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم • يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال

لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة * وروى مثله عن انس عن جابر
وفيه انه كان بالحديبية * وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت
عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط * قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد
الا قطرة في عزلاء شجب فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم
بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه
وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم * بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه
وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت
الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
من الجفنة وهي ملأى * وعن الشعبي عنه قال اتي النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء * وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون
ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين *
ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى
المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه و
نسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم
انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له * فصل * ومما يشبه

هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته ما روى مالك
في الموطا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم
حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه
ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حيوة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربعة عشر مائة
وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق و
دعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين في غير هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى
ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاءة فجعلها في
ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا
وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين و
سبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث
ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم

خرج

خرج بهم مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامرا وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وايات للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضاءة قال والقوم زهاء ثلثمائة - وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نباء وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجّه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما
يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجدها واتيا بها
الى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله
ان يقول ثمّ اعاد الماء في المزادتين ثمّ فتحت عزالتهما وامر الناس فملاؤا
اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الّا ملاؤه قال عمران ويخيّل الي انهما لم يزدادا
الّا امتلاء ثمّ امر فجمع للمراة من الازواد حتّى ملاء ثوبها وقال اذهبي فانّا
لم ناخذ من مائك شيئا ولكنّ الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع
قال نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة
فافرغها في قدح فتوضّانا كلنا ندغفقه اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتّى ان الرّجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النّبي صلّى الله عليه وسلّم في الدّعاء
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السّماء فانسكبت فملاؤا ما معهم من انية
ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب انّ ابا طالب قال للنبيّ صلّى الله
عليه وسلّم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبيّ

صلى الله عليه وسلم • وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير • ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته عليه الصلوة والسلام تكثير الطعام ببركته ودعائه **حدثنا**
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله • ثنا العذري • ثنا الرازي • ثنا
الجلودي • ثنا ابن سفيان • ثنا مسلم بن الحجاج • ثنا سلمة بن شبيب •
ثنا الحسن بن اعين • ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم • يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل
منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم • فاخبره فقال له
ولو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم • ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور و
اطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير
جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان
يقول • وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم • يوم الخندق الف رجل
من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان •
برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا وايمن وعن ثابت
مثله عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجيء بمل‌ء الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل
من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلاء ممن قدم معه لذلك صلى الله
عليه وسلم • وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب

انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من الانصار
فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من
طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله
عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم و
يقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا
وقد حزّ له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل
في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة
الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب
فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك
واعلاهم الذي اتي بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه
وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو
له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا
ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي

ابن طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدّا
من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه
لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو
له قوما سمّاهم وكل من لقيت حتى امتلاء البيت والحجرة وقدّم اليهم تورا فيه
قدر مدّ من تمر جعل حيسا فوضعه قدّامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدّون
ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصّة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة و
انهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي لترفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر او
حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن الحسن عن علي ان فاطمة طبخت
قدرا لغذائهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدا معهما
فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه الصلوة والسلام ولعلي
ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن
الخطّاب ان يزوّد اربعمائة راكب من احمس فقال يارسول الله ما هي الا اصوع
قال اذهب فذهب فزوّدهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي
بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
بن مقرّن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث
جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم

بعد

بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر فى اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة • وفى رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم • هل من شىء فقلت نعم شىء من التمر فى المزود قال فاتنى به فادخل يده واخرج • قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كله وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب منى فذهب • وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله تعالى و ذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة رضى الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح قد اهدى اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة • قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها • فدعوتهم وذكر امر النبى صلى الله عليه وسلم • له ان يسقيهم فجعلت اعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم • القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفى حديث

خالد بن عبد العزى انه اجزر النبى صلى الله عليه وسلم • شاة وكان عيال
خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى صلى الله عليه
وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها فى دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر
ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابى ومن حديث الاجرى فى نكاح
النبى صلى الله عليه وسلم • لعلى فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم •
امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال •
فاتيته بذلك فطعن فى راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا
وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من
غشيكن • وفى حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت
امى ام سليم حيسا فجعلته فى تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم • فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا
لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال
لهم النبى صلى الله عليه وسلم • تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبى صلى الله
عليه وسلم يده فى الطعام وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال لى ارفع فما ادرى حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر
احاديث هذه الفصول الثلاثة فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
من لا ينعد بعدهم واكثرها فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن
التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل** فى كلام

الشجرة

الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن
ابي القاسم البغوى * ثنا احمد بن عمران الاخنسي * ثنا ابو حيان التيمي
وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم * في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله * وقال من يشهد لك على ما تقول
قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها
فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما
قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة قال سال اعرابي النبي صلى الله عليه
وسلم * اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم * فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع
الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت وقال الاعرابي ائذن
لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها
قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن
عبد الله الطويل * قال ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم * يقضي
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادی علی
باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذی يصانع قائده وذكر انه فعل
بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما على باذن الله
فالتأمتا وفی رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
الحقی بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسی فالتفت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا و
شمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لی رسول الله صلى الله عليه
وسلم فی بعض مغازيه هل ترى يعنی مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الوادی ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل
او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله
يامركن ان ياتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة
مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذی بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لی قل لهن يفترقن فوالذی نفسی بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبی صلى الله عليه وسلم
فی مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر ودتين فانضما وفی رواية
اشاتين وعن غيلان بن سلمة الثقفی مثله فی شجرتين وعن ابن مسعود

عن النبی

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مثل في غزاة حنين وعن يعلى بن مرّة و
هو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
وذكر انّ طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثمّ رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم انّها استاذنت ان تسلّم عليّ وفي حديث عبد الله بن
مسعود قال اذنت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالجنّ ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث انّ الجنّ قالوا من يشهد لك قال
هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت تجرّ عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاوّل او نحوه قال القاضي ابو الفضل المصنّف رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر
وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرّة واسامة بن زيد وانس بن
مالك وعليّ بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتّفقوا
على هذه القصّة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في اشتهارها من القوّة حيث هي وذكر ابن فورك انّه صلّى الله عليه وسلّم
سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتّى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس انّ جبرئيل قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وراه
حزينا قال تحبّ ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتّى قامت
بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن عليّ نحو هذا ولم يذكر
فيها جبرئيل قال اللهمّ ارني اية لا ابالي من كذّبني بعدها فدعى شجرة

وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له
وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية
في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن
انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه فساله اية يعلم بها الا
مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك
ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له
ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه عن عمر وقال
فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد
اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع
اليه صلى الله عليه وسلم ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو
في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية

انس

انس حتى ادخل المسجد بجواره • وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راو
به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره • فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه
لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم • فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب • وسهل بن سعد • واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت منبره اوجعلت في السقف • وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم • صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى
ان اكلته الارض وعاد رفاتا • وذكر الاسفرائني ان النبي صلى الله
عليه وسلم • دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد
الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت
ان اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد
لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم
اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم • يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم • قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن
اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم • شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه صلى الله •

عليه وسلم رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح
رضي الله عنهم ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي
سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن
سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه
والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل المصنف رضي الله عنه فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرناه وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن
اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر
الجمادات **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ابو القسم ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو
احمد الزبيري ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله
عنه قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن
مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من
حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر رضي الله

عنه وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان وقال على رضى الله عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر
ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه
صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على وقيل انه الحجر
الاسود وعن عائشة لما استقبلنى جبرئيل بالرسالة جعلت لا امر
بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفى
حديث العباس اذا اشتمل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة
الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبى
صلى الله عليه وسلم فاتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله
عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبى وصديق
وشهيدان ومثله عن ابى هريرة فى حراء وزاد ومعه على وطلحة والزبير
رضى الله عنهم وقال فانما عليك نبى او صديق او شهيد والخبر فى حراء
ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه وانا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعدا قال ونسيت الاثنين وفى حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روى انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته
قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى

فنعذ بني الله فقال له حواء الى يا رسول الله ● وروى ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم ● قرا على المنبر وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ثم قال ●
يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار ● انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى
قلنا ليخرن عنه ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت ستون
وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله ●
صلى الله عليه وسلم ● المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا
يمسها ويقول جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع
لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن
مسعود ● وقال فجعل يطعنها ويقول جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ
ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم ● مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج
تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج فجعل يتخللهم حتى اخذ ●
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ● فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله
رحمة للعالمين ● فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ●
ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجد الا لنبي ● وذكر القصة ثم قال واقبل
النبي صلى الله عليه وسلم ● وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم
سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله عليه وسلم فصل ●
في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ
ثنا ابي ● ثنا القاضي يونس ● ثنا ابو الفضل الصيقلي ● ثنا ثابت بن قاسم
بن ثابت عن ابيه وجده قالا ● ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ● ثنا

محمد

محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وروى عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فى محفل من اصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا
فقالوا نبى الله فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا
الضب وطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله
عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض
سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابى سعيد
الخدرى قال بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب بشاة منها فاخذها
الراعى منه فاقعى الذئب وقال للراعى الا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى
قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء
ما قد سبقك فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصص
وفى بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابى هريرة وفى بعض الطرق

عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث
الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها
على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود
الله تعالى قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ادعاها حتى ترجع فاسلم
الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله
عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب هذه القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو
بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي
سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفين بن حرب و
صفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم
الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بمكة لنتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه
وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي
ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من
كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوا الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن
عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو

على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله
كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك
ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له الغنم فقال ابو بكر
نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة
بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال
وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء لا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر
في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه
انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي
انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا
نعم وقد روي قصة العضباء وكلامها وتعريفها له بنفسها ومبادرة
العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد
وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائيني

وقد روى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم
فتحها فدعا لها بالبركة ۞ وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة نبتت تجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث
اخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون وراوا ذلك قالوا لو كان
فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم ۞ يسمع كلامهم
فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايهن يبداء ۞
وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم ۞ في صحراء فنادته ظبية ۞
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله ۞ ومن هذا الباب ما روى من تسخير الاسد
لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ اذ وجهه الى معاذ باليمن
فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ومعه كتابه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك ۞ وفي رواية اخرى
عنه ان سفينة انكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق

واخذ

واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة لقوم من بني عبد قيس بين اصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي
عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي
يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله
عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي
شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه
وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء
بها هو الذي ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلوة
في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما
حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم
واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة

فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له
بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي

عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا
ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن
ابي سلمة وعن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر
شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم
فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت
كاذبا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس
وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها فقال
لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي
رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن
عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه
فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر
تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون
ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه

الله من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
فى ذلك عن ابى هريرة وانس وجابر وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما انه
دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف فى قتل الذى
سحره قال الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا وروى انه قتله وروى
الحديث البزار عن ابى سعيد فذكر مثله الا انه قال فى اخره فبسط يده وقال
كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا احدا قال القاضى ابو الفضل
المصنف وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو
حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر فى هذا الباب فمن قائل يقول
هو كلام يخلقه الله تعالى فى الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات
يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو قول
ابى الحسن والقاضى ابى بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة
بها ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن ابى الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا
لم يجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بد من شرط الحيوة
لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى خلافا للجبائى من سائر متكلمى الفرق
فى احالة وجود الكلام اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب على
تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك فى الحصا
والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها حيوة وخرق لها فما ولسانا

والة اسكتها بها من الكلام وهذا لوكان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله وروى
وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب
لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب
رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله و
هو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له
في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها فلانة اجيبي باذن
الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان
احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما
وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك
رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا الى
ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل
باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر

الصديق

الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان
بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ
سمعوه بين العشائين والنسا يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر
عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء
المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه
وقراءته على غيره ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن
الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا
ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها
قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن
عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة وبصق صلى الله عليه وسلم على اثر السهم في وجه
ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف

لى عن بصري فانطلق فتوضا ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم اني اسالك واتوجه
اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده
حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ
به فاتاه بها وهو على شفا هلكة فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن
حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل
الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل صلى الله عليه وسلم
على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل صلى الله عليه وسلم في عيني علي رضي الله
عنه يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث صلى الله عليه وسلم على ضربة
بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله
عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء
فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت
رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته صلى الله
عليه وسلم امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام و
عقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر
على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى دفعها ولم يبق لها اثر وسالته
صلى الله عليه وسلم جارية طعاما ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال عن شيء فيمنعه
فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء
منها **فصل** في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا
واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواترة
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله

عنه قال قالت امى يا رسول خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته • ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة • وفى رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد • ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدى واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا • وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابى وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له • ودعا بعز الاسلام بعمر او بابى جهل فاستجيب له فى عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر • واصاب الناس فى بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا صلى الله عليه وسلم • فى الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابى قتادة افلح وجهك اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة • وقال صلى الله عليه وسلم • للنابغة

لا يفضض الله

لا يفضض الله فاك قال فما سقط له سن وفي رواية فكان احسن الناس
ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة • وقيل اكثر
من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم • لابن عباس • اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد ذلك الحبر وترجمان القرآن ودعا صلى الله عليه
وسلم • لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح
فيه ودعا صلى الله عليه وسلم • للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال
ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه • وروى مثل هذا لعروة ايضا وندت له ناقة
فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه • ودعا صلى الله عليه وسلم
لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد • ودعا صلى الله عليه وسلم • لفاطمة ابنته ان لا يجيعها
الله قالت فما جعت بعد وساله صلى الله عليه وسلم • الطفيل بن عمرو •
آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف •
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي •
ذا النور • ودعا صلى الله عليه وسلم • على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا • ودعا صلى الله عليه وسلم • على كسرى حين مزق
كتابه ان يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار •

الدنيا * ودعا صلى الله عليه وسلم * على صبي قطع عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال صلى الله عليه وسلم * لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه وسلم * لعتبة ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه صلى الله عليه وسلم * المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر * ودعا صلى الله عليه وسلم * على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم * اي لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم دفن فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحده صلى الله عليه وسلم * رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم * فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل * في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد * ثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما * قالوا ثنا ابو

الوليد

الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا
الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطاء فلما رجع
قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس صلى الله عليه وسلم
جمل جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع صلى الله
عليه وسلم مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله
عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصرة
وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى
بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا
قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم وكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره
على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وسكب صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد
وبصق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر صلى الله عليه وسلم على ماء فسال عنه فقيل له اسمه

بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب • واتى صلى الله عليه
وسلم • بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك • واعطى صلى الله
عليه وسلم • الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان
لام مالك عكة تهدى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم • سمنا فامرها النبي
صلى الله عليه وسلم • ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة سمنا •
فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا •
فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم • يتفل في افواه
الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله
عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله
عليه وسلم • فغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا
تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم • وردها فاخذت •
وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وابقى
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم • شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد
شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت • واعطى صلى الله
عليه وسلم • قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة •

عرجونا

عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه صلى الله عليه وسلم لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به
حين انكسر سيفه يومئذ فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد
في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع لعبد الله بن
جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنها
بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة
ام معبد واعنز معوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها
وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن
ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا
فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في
فيه من رواية حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم على راس عمير
ابن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه
القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نساءه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت صلى الله عليه وسلم عن وجه عائذ
ابن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح

صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن زيد الجذامى ودعا له فهلك ابن مائة
سنة وراسه ابيض وموضع كف النبى صلى الله عليه وسلم وما مرت
عليه يده من شعره اسود فكان يدعى الاغر و روى مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهنى ومسح صلى الله عليه وسلم وجه اخر فما زال على
وجهه نور ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة ابن ملحان فكان لوجهه
بريق حتى كان ينظر فى وجهه كما ينظر فى المراة ووضع صلى الله عليه وسلم
يده على راس حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبى صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح
صلى الله عليه وسلم فى وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان
فى وجه امراة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على راس صبى به عاهة
فبرا واستوى شعره و روى مثله فى خبر المطلب بن فضالة وعلى غير واحد
من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا واتاه صلى الله عليه وسلم رجل به ادرة
فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت
النبى صلى الله عليه وسلم احد به مس فصك فى صدره الا ذهب المس
والجنون ومج صلى الله عليه وسلم فى دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها
ريح المسك واخذ صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب يوم حنين و
رمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون
القذا عن اعينهم وشكا اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسى شيئا

بعد

بعد • ومايروى فى هذا عنه كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له و
كان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما **فصل** • ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
ومايكون والاحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على
التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب **حدثنا** •
الامام ابو بكر محمد بن الوليد اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر • ثنا ابو
على التسترى • ثنا ابو عمر الهاشمى • ثنا اللؤلوى • ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابى شيبة • ثنا جرير عن الاعمش عن ابى وائل عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم • مقاما فما ترك شيئا يكون
فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى
اصحابى ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم •
من قائد فتنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه
باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وما يحرك طاير جناحيه فى السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج
اهل الصحيح والائمة ما اعلم به صلى الله عليه وسلم • اصحابه مما وعدهم •

به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان
المدينة ستغزى ● وتفتح خيبر على يدى على فى غد يومه ● وما يفتح الله
على امته من الدنيا ويؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من
قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم
ستكون لهم انماط ويغدو احدهم فى حلة ويروح فى اخرى وتوضع بين
يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء واذا مشت امتى
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط
شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده ● وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده و
ذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر ● وبذهاب الامثل فالامثل
من الناس وتقارب الزمان ● وقبض العلم ● وظهور الفتن والهرج
وقال صلى الله عليه وسلم ● ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت
له الارض فارى مشارقها ومغاربها ● وسيبلغ ملك امته ما زوى له منها
فكذلك كان امتدت فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم
ولم تمتد فى الجنوب ولا فى الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم

لا يزال

لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن
المدينى الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب وهى الدلو وغيره
يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا فى الحديث بمعناه وفى حديث
اخر من رواية ابى امامة لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق
قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين
هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بنى امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ
بنى امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدى وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل على رضى الله عنه وان اشقاها الذى يخضب هذه من هذه
اى لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار
فكان من عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن تنسب اليه من الروافض
كفروه وقال صلى الله عليه وسلم يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على
قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير
لعلى رضى الله عنهما ونباح كلاب الحوءب على بعض ازواجه وانه يقتل
حولها قتلى كثير وتنجوا بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى
البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معوية وقال
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك
من الناس وقال صلى الله عليه وسلم فى قزمان وقد ابلى مع المسلمين

انه من اهل النار فقتل نفسه • وقال صلى الله عليه وسلم • فى جماعة فيهم
ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى النار فكان بعضهم
يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال صلى الله عليه وسلم • فى حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فانى رايت
الملائكة تغسله فسئلوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو
سعيد ووجد نا راسه يقطر ماء • وقال صلى الله عليه وسلم • الخلافة
فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش ما اقاموا الدين • وقال صلى الله عليه
وسلم • تكون فى ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره
الله • وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وان الخلافة بعده
ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما
وقال صلى الله عليه وسلم • ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون
رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا
فى الامة واخبر صلى الله عليه وسلم • بشان اويس القرنى وبامراء
يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون فى امته ثلثون كذابا فيهم
اربع نسوة وفى حديث اخر ثلثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله • وقال صلى الله عليه وسلم يوشك
ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا يقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان • وقال صلى الله عليه وسلم
خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتى بعد ذلك قوم

يشهدون

يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا
يوفون ● وقال صلى الله عليه وسلم ● لا ياتى زمان الا والذى بعده
شر منه ● و قال صلى الله عليه وسلم ● هلاك امتى على يدى اغيلمة
من قريش قال ابو هريرة رواية لو شئت سميتهم لكم بنو فلان واخبر
صلى الله عليه وسلم ● بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه
الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم يزل امرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم يلقون بعده اثرة واخبر صلى الله
عليه وسلم ● بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذى فيهم وان سيماهم
التحليق ● وترى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون
فى البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا
وانه هو يغزوهم واخبر صلى الله عليه وسلم ● بالموتان الذى يكون
بعد فتح بيت المقدس ● وما وعد صلى الله عليه وسلم من سكنى
البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة ● وان الدين لو
كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس ● وهاجت ريح فى غزاة
صلى الله عليه وسلم ● فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة
وجدوا ذلك ● وقال صلى الله عليه وسلم ● لقوم من جلسائه ضرس
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى
ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم صلى الله عليه
وسلم ● بالذى غل خرزا من خرز يهود فوجدت فى رحله وبالذى

على الشجرة وحيث هي ناقته عليه الصلوة والسلام حين ضلت وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع
صفوان حين ساده وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء
عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم
بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فاسلم واعلم صلى الله عليه وسلم بانه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان
كما قال وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك
اخرون واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا و
بينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر
صلى الله عليه وسلم فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى
ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم
اباذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت
قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده و
موته وحده واخبر صلى الله عليه وسلم ان اسرع ازواجه لحوقا به
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر صلى الله
عليه وسلم بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وطعن سعد وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة كيف
بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتى بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد
لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال صلى الله عليه وسلم
تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال
له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله
عليه وسلم لعمر في سهيل بن عمرو وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان
كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال صلى الله عليه
وسلم لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه
الامور كلها في حيوته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما
اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه صلى الله
عليه وسلم بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط

ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذي اروان فكان كما قال
ووجد على تلك الصحيفة واعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا باكل الارضة
ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه وسلم
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من
عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال صلوات الله وسلامه عليه الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون
ولم يات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها
كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة **فصل** في عصمة الله تعالى له من الناس
وكفايته من اذاه قال الله تعالى وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وقال تعالى
وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وقال تعالى أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
قيل بكاف محمدا صلى الله عليه وسلم اعداءه المشركين وقيل غير هذا
وقال تعالى إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ وقال تعالى وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا الاية **اخبرنا** القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه
والفقيه الحافظ ابو بكر بن محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا

ابو

ابو الحسن الصيرفي ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي

ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد

ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله

بن شقيق عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى

نزلت هذه الاية وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فاخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس

انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان النبي صلى الله

عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه

اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله عز وجل فارعدت

يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه

فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن

الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا

عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل

هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد عليه الصلوة والسلام

من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي

انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن

الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان

سيدهم واشجعهم فقالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال

اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري

وسقط السيف من يدى فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية وفى رواية الخطابى ان غورث بن الحارث المحاربى
اراد ان يفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم
على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر
وقيل فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء ان يخذلنى وذكر
عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهى جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها
انها لما بلغها نزول تبت يدا ابى لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها
من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد
ومعه ابو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
فاخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابى العاص تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم حتى
اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى

فجئنا حتى اذا ايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح وقراء الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال له انج وفراها دبين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة و الكفاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم فذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام و قصته صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر

واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق
بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي
فادعوا الي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر
اخر ان داعيا عرف خبرها فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على
قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما
ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها
عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم
ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله
قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا
لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت إِنَّا
جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته
اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو
بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين

قتلهما

قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
معهم على قتله فاعلم جبرئل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه
يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكره اهل التفسير ومعنى الحديث
عن ابي هريرة ان اباجهل وعد قريشا لان راى محمدا يصلي ليطان
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى
هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على
خندق مملو نارا كدت اهوى فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة
قد ملات الارض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملئكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى الى اخر السورة ويروى ان شيبة ابن عثمان
الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك
ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع
يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق
الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو
لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو اراد
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما

دنوت منه قال افضاله قلت نعم قال ماكنت تحدث به نفسك قلت لاشيء
فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري وسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن
الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه
افاضربك ومن عصمته تعالى له صلى الله عليه وسلم ان كثيرا من اليهود
والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم
وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى له حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره
بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن
معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء
والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ
شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله تعالى فيهم
وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من
الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم
بما كتموه ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ

فرقها

فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها
ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضروب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى
تمهيد قواعد الشرع الذي لاتناقض فيه ولاتخاذل مع اشتمال شريعته على
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر
منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به اذا سمع مايدعوا اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث
فصان بها انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا
والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما
اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا
في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على رجل
طاير وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه
وسلم اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله
صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة وماروي عنه في حديث
ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان هذا حديثا لانصححه لضعفه وكونه موضوعا

تكلم عليه الدار قطني • وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة اشفيه • وقوله صلى الله عليه وسلم ما
ملاء ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لابد فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس • وقوله صلى الله عليه وسلم • وقد سئل
عن سبا ارجل هو او امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشام اربعة الحديث بطوله • وكذلك قوله صلى الله عليه
وسلم • في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها • وهمدان غاربها وذروتها • وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله
صلى الله عليه وسلم • في الحوض زواياه سواء وقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على
اللسان والف وخمسمائة في الميزان • وقوله صلى الله عليه وسلم •
وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم • ما بين المشرق
والمغرب قبلة • وقوله صلى الله عليه وسلم • لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك • وقوله صلى الله عليه وسلم • لكاتبه ضع القلم على اذنك
فانه اذكر للممل • هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه

اوتي

اوتى علم كل شئ حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من
طريق ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الذي
يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني
اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضها اول الكتاب وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث صلى الله عليه وسلم سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وكقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة
اشكنب درد م اى وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم
بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من ممارست الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم
يقراء ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشاء بين قوم لهم علم ولا قراءة
لشئ من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشئ منها قال الله تعالى
وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ الاية انما كانت غاية
معارف العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما حصل

ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او الغلام الرومي يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على طائفته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى

بلاد

بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى
في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة
او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها التعليم القليل فكيف الكثير بل
كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعلم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل
حجة ومجليا لكل امر **فصل** ومن خصائصه وكراماته وباهر اياته
صلى الله عليه وسلم انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله تعالى بالملائكة
وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وَإِنْ تَظَاهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ الاية وقال تعالى إِذْ يُوحِي
رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا وقال تعالى إِذْ تَسْتَغِيثُونَ
رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ الايتين وقال
تعالى وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ الاية حدثنا سفيان
بن العاصي الفقيه سماعي عليه ثنا ابو الليث السمرقندي ثنا
عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفين
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه
الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته
مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم

صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راه بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن
مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يساله عن الاسلام
والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبرئيل في صورة
دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبرئيل وميكائيل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملئكة خيلها يوم
بدر وبعضهم وغيرهم راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب
وراى ابو سفين بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملئكة تصافح عمران بن حصين
وارى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبرئيل في الكعبة فخر مغشيا
عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم و
شبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم
احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد
ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه
وسلم نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر
انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه
وسلم علمه سورا من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند

هدمه

هدمه المرأة السوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجدلها بسيفه
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله
عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ
بَعْدِي الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع فصل ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الاخبار عن
الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلامته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن
ساعدة وما ذكر عن سف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد
بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام
وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء
يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام
والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران
وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب
رومة النصارى ورئيسها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن

صوريا وابن اخطب واخوه وكعب ابن اسد والزبير بن باطنا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار
في هذا كثيرة لا تحصى وقد قرع صلى الله عليه وسلم اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه
من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره
ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء
ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون
عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد
قال لهم صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر
وافعى نجران وجدل بن جدل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن
بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة
الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن
ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه
وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط
القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور
فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما
حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه صلى الله عليه وسلم رافعا راسه
عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه

عند

عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاصى من تدلى النجوم
وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد
الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدى واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى
نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وذوجها ظئراه من بركته و
درور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجائب ليلة ولادته من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيظ بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد
وانه كان اذا اكل مع عمه ابى طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا
غاب واكلوا فى غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابى طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا ومن ذلك حراسة
السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ
عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من
ذلك وحماه حتى فى سترة فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره
ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد
ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها راينه لما
قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك
منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها

وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة • ومن ذلك انه صلى الله عليه
وسلم • نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها واينعت هى فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل
الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه
صلى الله عليه وسلم • فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه صلى الله عليه وسلم • ومن ذلك تحبيب الخلوة
اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة وفى
بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له
عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامته وتشريفه وصلوة
الملئكة على جسده على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه
ولم يستاذن على غيره قبله ونداهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا القميص
عنه عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملئكة اهل بيته عند موته الى
ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته فى حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه
وتبرك غير واحد بذريته فصل قد اتينا فى هذا الباب على نكت من
معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب ذلك الباب لو تقصى ان يكون

ديوانا

ديوانا جامعا يشتمل على مجلدا عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي
معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها
كثيرة فهذا القران فكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة
المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم
الى ان كل اية منها كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فهو اقل ما تحداهم به مع ما يشهد هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعمائة وسبعين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فيجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة
الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر
على اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فيتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران

فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة
والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الابواب وعما دل
على امره مما اشرنا اليه جملة تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله
عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن
الذى سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى
بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها بما خرق عادتهم ولم
يكن فى قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب و
اوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوا من
احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا معجزات
سائر الانبياء ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليهم
القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا
فى المنظوم الى طريقه ولا علموا فى اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار
عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت
ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل
الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم
الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء
والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه

على الوجه

على الوجه التي بسطناها وبيّنّا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الباقية الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرنا في معجزات القران ثابتة الى يوم
القيمة بيّنة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامّل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السّبيل فلا يمرّ عصر ولا زمن
الّا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره فيما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان فللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشدّ طمانينة
الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كلّ عندها حقا وسائر معجزات
الرّسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبيّنا صلى الله
عليه وسلّم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله
عليه وسلّم بقوله فيما حدثنا القاضي الشّهيد ابو علي ثنا القاضي ابو
الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا
الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن
سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال ما
من الانبياء نبيّ الّا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانّما كان الذي اوتيت
وحيا اوحاه الله اليّ فارجوا انّي اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث
عند بعضهم وهو الظّاهر والصّحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد
من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبيّنا صلى الله عليه
وسلّم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه
ولا التحيّل عليه والتّشبيه فانّ غيرها من معجزات الرّسل قد رام المعاندون

لها باشياء طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم
وشبه هذا مما يحتال الساحر ويتخيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر
فى التخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما
لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتاويل الاول اخلص وارضى وفى هذا التاويل الثانى ما يغمض الجفن عليه
ويغضى وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت من
مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم
يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بيّن وعليهما جميعا فترك
العرب الاتيان بما فى مقدورهم او ما هو فى جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال
والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان
بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم
والى هذا ذهب الامام ابو المعالى الجوينى وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
فى خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها
فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة فى ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما
التحدى للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم
ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق

عنها

عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله تعالى عن القيام
لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق • وقد غاب عن
بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر
عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم
ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم و
غيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا
من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم
السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه
قال الله تعالى وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فجاءتهم من الآيات
الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه
ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن
والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على
جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله
زلفى ومنهم من امن بالله وحده قبل الرسول صلى الله عليه وسلم •
بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب
الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا
به وازداد وكل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا •
ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى

هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمناه
من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين القسم الثاني فيما يجب
على الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في اربعة ابواب على ما ذكرنا اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه
والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم الباب الاول في فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم اذا تقرر بما
قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي انزلنا
وقال تعالى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ
وقال تعالى فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الاية فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح
اسلام الا معه قال الله تعالى وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام
ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا
ابن سفين ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع
ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس

حتى

حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له
وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا ضوحا
في حديث جبرئيل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان
الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب قال الله تعالى
اِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ اِنَّكَ لَرَسُولُهُ
وَاللهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اى كاذبون في قولهم ذلك عن
اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم في الاخرة حكم اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك

الاسفل من النار ويبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في
احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على
الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام • اذ لم يجعل للبشر سبيل الى
السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
التحكم عليها وذم ذلك • وقال صلى الله عليه وسلم • هلا شققت عن
قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبرئيل الشهادة من
الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين
احديهما ان يصدق بقلبه • ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه
فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه
بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم • يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا
مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن
لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس
بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان
وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذه نبذة تفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما و
في الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح

فيه

فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفي ما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل فاما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وقال تعالى قُلْ اَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ وقال تعالى وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وقال تعالى وَاِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰهَ وقال تعالى وَمَا اٰتَيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيكُمْ عنه فانتهوا وقال تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ الاية وقال تعالى وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللّٰهِ فجعل تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتيكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية

والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتي عليه ثنا
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد
ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس
عن الزهري قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله
اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله
تعالى عن الكفار في دركات جهنم يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ
يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني
وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم
بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني
رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من
قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا
مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني
واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث

الاخر

الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل • واما وجوب طاعته وامتثال سنته والاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم • فقد قال الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ • وقال تعالى فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم • الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل • وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه • لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم • ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه

نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروى عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله
فانزل الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ الاية وروى ان الاية
نزلت فى كعب بن الاشراف وغيره وانهم قالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم
تحبون الله ان تقصد واطاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاء بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم
وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العبد
طاعة كما قال القائل تعصى الاله وانت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس
بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال
محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له رحمته له و
ارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيرى
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات
وسياتى بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل
وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتى عليه قالا
ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو حفص الجهنى ثنا ابو بكر الاجرى
ثنا ابراهيم بن موسى الجوزى ثنا داود بن رشيد ثنا
الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد

الرحمن

الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر
بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه
وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما
امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران
وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى
وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا الاية وقال صلى الله
عليه وسلم ومن اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله

ابن عمرو بن العاص • قال النبي صلى الله عليه وسلم • العلم ثلثة فما
سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن
بن ابي الحسن رضي الله عنهما • قال عنه صلى الله عليه وسلم • عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة • وقال صلى الله عليه وسلم • ان
الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها • وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم • قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة
شهيد • وقال صلى الله عليه وسلم • ان بني اسرائيل افترقوا على ثنتين
وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس
قال صلى الله عليه وسلم • من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان
معي • وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم •
قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل
بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل • واما ما ورد عن
السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله
عليه وسلم فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه • ثنا ابو عمر الحافظ • ثنا سعيد بن نصر • ثنا قاسم
بن اصبغ ووهب بن ميسرة قالا • ثنا محمد بن وضاح • ثنا يحيى بن يحيى

ثنا

ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله
بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر
في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال
عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة
على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها
من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن رضي الله عنهما عمل قليل في سنة خير من عمل
كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا
الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن
فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع و
عن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه
وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد
من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة نبيه ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة

خير من الاجتهاد في البدعة • وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف
السنة كفر • وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه
الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه •
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي
كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من
اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم • وكتب بعض عمال عمر بن
عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم
على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم • الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك لا تنفع
ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما
قبلتك ثم قبله وراى عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا
ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم • فعله ففعلته
وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق

بالحكمة

بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق و
الافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير
قوله تعالى وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء
فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام
الا بميزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله
تعالى قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت
قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم
ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وقال تعالى وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن
ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقرائتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا
مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فانا ديهم الا هلم

الاهلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا ورروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني
وقال صلى الله عليه وسلم من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان
ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله
عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا
عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ الاية وقال صلى الله عليه وسلم هلك
المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه
وسلم اذ قرع الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله
ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ثم فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني

الحافظ

الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد ثنا سراج بن عبد الله
القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا المروزى ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن
علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده و
الناس اجمعين وعن ابى هريرة نحوه وعن انس عنه صلى الله
عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت احب الى من كل شئ
الا نفسى التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لن يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب
لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه
وسلم فى جميع الاحوال ورأى نفسه فى ملكه صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبته
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتى عليه ثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا ابو زيد

المروزی ثنا محمّد بن یوسف ثنا محمد بن اسمعیل ثنا عبدان
ثنا ابی ثنا شعبة عن عمرو بن مرّة عن سالم بن ابی الجعد عن انس بن
مالك ان رجلا اتی النبی صلی الله علیه وسلم فقال متی الساعة
یا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من کثیر صلوة
ولا صوم ولا صدقة ولکنّی احبّ الله ورسوله قال انت مع من
احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الی النبی صلی الله علیه
وسلم فاتیته فقلت یا رسول الله ناولنی یدك ابایعك فناولنی
یده فقلت یا رسول الله انی احبّك قال المرء مع من احبّ وروی
هذا اللفظ عن النبیّ صلی الله علیه وسلم عبد الله بن مسعود وابو
موسی وانس وعن ابی ذرّ بمعناه وعن علی رضی الله ان النبیّ
صلی الله علیه وسلم اخذ بید الحسن والحسین فقال من احبّنی
واحبّ هذین واباهما وامّهما کان معی فی درجتی یوم القیمة وروی
انّ رجلا اتی النبیّ صلی الله علیه وسلم فقال یا رسول الله لانت
احبّ الیّ من اهلی ومالی وانّی لاذکرك فما اصبر حتّی اجیء فانظر الیك
وانّی ذکرت موتی وموتك فعرفت انّك اذا دخلت الجنّة رفعت مع
النبیّین وان دخلتها لا اریك فانزل الله تعالی وَمَنْ یُطِعِ اللهَ وَ
وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِینَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِیقًا فدعا به فقرأها علیه
وفی حدیث اخر کان رجل عند النبی صلی الله علیه وسلم ینظر الیه

ولا یطرف

ولا يطرف فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان
يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس
من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة
من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي
الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن
سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن
سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني
باهله وماله ومثله عن ابي ذر تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه
وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله
وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي
الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه
النوم وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه
يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي من ان

يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت اذينه حتى انظر اليه
فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل على بن ابى طالب رضى الله
عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء
وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضى الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا فى بيت
واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون
الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل
تجمعنى وحبيبى الدار تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى وفى
الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر
احب الناس اليك يزول عنك فصاح وا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال
نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه و
يروى ان امراة قالت لعائشة اكشفى لى قبر رسول الله صلى الله عليه و
سلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من
الحرم ليقتلوه قال له ابو سفين بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب
ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد
والله ما احب ان محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى

جالس

جالس فی اهلی فقال ابو سفین ما رایت من الناس احدا یحب احدا کحب اصحاب محمد محمدا صلی الله علیه وسلم * وعن ابن عباس کانت المراة اذا اتت النبی صلی الله علیه وسلم * احلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله * ووقف ابن عمر علی ابن الزبیر بعد قتله فاستغفر له وقال کنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل * فی علامة محبته صلی الله علیه وسلم اعلم ان من احب شیئا اثره واثر موافقته والا لم یکن صادقا فی حبه وکان مدعیا فالصادق فی حب النبی صلی الله علیه وسلم * من تظهر علامات ذلک علیه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهیه والتادب بادابه فی عسره ویسره ومنشطه ومکرهه وشاهد هذا قوله تعالی قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وایثار ما شرعه وحض علیه علی هوی نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالی وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْاِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ اِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا اُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ واسخاط العباد فی رضا الله عز وجل حدثنا القاضی ابو علی الحافظ رحمه الله * ثنا ابو الحسین * الصیرفی وابو الفضل بن خیرون قالا * ثنا ابو یعلی البغدادی ثنا ابو علی السنجی * ثنا محمد بن محبوب * ثنا ابو عیسی * ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاری عن ابیه عن علی بن زید

عن سعيد بن المسيّب قال قال لي انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بنيّ ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد
فافعل ثمّ قال لي يا بنيّ وذلك من سنّتي ومن احيى سنّتي فقد احبّني
ومن احبّني كان معي في الجنّة فمن اتّصف بهذه الصفة فهو كامل المحبّة لله تعالى
ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبّة ولا يخرج
عن اسمها ودليله قوله صلّى الله عليه وسلّم للّذي حدّه في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا تلعنه فانّه يحبّ الله
ورسوله ومن علامات محبّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كثرة ذكره
له فمن احبّ شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكلّ حبيب
يحبّ لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريّين عند قدومهم المدينة انّهم
كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبّة محمّدا وصحبه وتقدّم قول بلال و
مثله قول عمّار قبل قتله وما ذكرناه من قصّة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرّت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبّة له وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيّبا وتوقيرا ومنها محبّته لمن احبّ النبيّ صلّى الله عليه
وسلّم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار
وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبّهم فمن احبّ شيئا احبّ

من

من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم
اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال
صلى الله عليه وسلم من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني و
من اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
صلى الله عليه وسلم في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها و
قال صلى الله عليه وسلم لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه
وقال صلى الله عليه وسلم اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم فالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه
وهذه سيرة السلف رضي الله عنهم حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ
وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى
وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض

الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل من يخالف شريعته قال الله تعالى لَا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ و
هؤلاء اصحابه قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني
اباه ۝ ومنها ان يحب القران الذي اتى به وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها ۝ قال سهل بن
عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران
حب النبي صلى الله عليه وسلم ۝ وعلامة حب النبي صلى الله عليه
وسلم ۝ حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب
الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا و
بلغة الى الاخرة ۝ وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران
فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله ۝ ومن علامة حب
النبي صلى الله عليه وسلم ۝ شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه
في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين
رؤفا رحيما ۝ ومن علامة تمام محبته صلى الله عليه وسلم ۝ زهد
مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه
وسلم لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من

السيل

السّيل من اعلى الوادى او الجبل الى اسفله • وفى حديث عبد الله بن
مغفّل قال رجل للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم • يا رسول الله انّى احبّك
فقال انظر ما تقول قال والله انّى احبّك ثلاث مرّات قال ان كنت
تحبّنى فاعدّ للفقر تجفافا ثمّ ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعنا •

فصل فى معنى المحبّة للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم • وحقيقتها اختلف
النّاس فى تفسير محبّة الله تعالى ومحبّة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم
وكثرت عباراتهم فى ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال
ولكنّها اختلاف احوال • قال سفين المحبّة اتباع الرّسول صلّى الله عليه
وسلّم كانّه التفت الى قوله قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى الآية •
وقال بعضهم محبّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم • اعتقاد نصرته و
الذبّ عن سنّته والانقياد اليها وهيبة مخالفته • وقال بعضهم المحبّة
دوام الذّكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبّة الشّوق
الى المحبوب • وقال بعضهم المحبّة مواطاة القلب لمراد الرّبّ يحبّ
ما احبّ ويكره ما كره • وقال اخر المحبّة ميل القلب الى موافق له واكثر
العبارات المتقدّمة اشارة الى ثمرات المحبّة دون حقيقتها وحقيقة
المحبّة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته له امّا لاستلذاذه
بادراكه كحبّ الصّور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها ممّا كلّ طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه
بادراكه بحاسّة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبّة الصّالحين والعلماء

واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان
طبع الانسان مائل الى الشعف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة فى اخرين ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقة له من
جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها فاذا تقرر هذا نظرت هذه الاسباب كلها فى حقه صلى الله
عليه وسلم فعلمت انه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعانى الثلثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما
احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه فى اوصاف الله تعالى له
من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه صلى الله عليه وسلم الى جميع المؤمنين واى افضال
اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم
الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة و
وسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب
لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه

وسلم

وسلم مستوجب للمحبة الحقيقة شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار و
عادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته للاحسان وعموم للاجمال فاذا
كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة اومرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من
النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب فاذا كان يحب بالطبع
ملك لحسن سيرته او حاكم لما نؤثر من قوام طريقة او قاض بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل • وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
صلى الله عليه وسلم • من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه
وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه فصل
في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم • قال الله تعالى وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال اهل التفسير اذا نصحوا لله و
رسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا •
الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه • ثنا حسين بن محمد • ثنا يوسف
بن عبد الله • ثنا ابن عبد المومن • ثنا ابو بكر التمار • ثنا ابو
داود • ثنا احمد بن يونس • ثنا زهير • ثنا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم • ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين

النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة
المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله
وائمة المسلمين واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر
بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة
واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه • وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف
النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح و
هو الخيط الذي يخاط به الثوب • وقال ابو اسحق الزجاجي نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه و
الاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه بما فيه والذب
عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله
عليه وسلم • التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى
عنه قاله ابو سليمان • وقال ابو بكر وموازرته ونصره وحمايته
حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي
نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم • التصديق بما جاء به و
الاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله •

والى

والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من
مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو بكر الآجرى وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا
فى حيوته ونصحا بعد مماته ففى حيوته نصح اصحابه له بالنصرة والمحاماة
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس و
الاموال دونه كما قال تعالى رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ
الاية وقال تعالى وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ الاية واما نصيحة
المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له
والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه
ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه و
الصبر على ذلك فعلى ماذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة و
علامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيرى ان
عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رءى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا قال
صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت
انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر
الله لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم فى الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن الوجوه وتنبيههم على

ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب
الناس وافساد قلوبهم عليه والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى
مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع اليهم الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره
وبره قال الله تعالى اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ
وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وقال تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَيَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ الثلاث الايات وقال تعالى لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ
الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ
تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب وقال
سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشئ
من ذلك من قتال اوغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى
هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال وَاتَّقُوا اللهَ اِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

قال

قال الماوردی اتقوه یعنی فی التقدم وقال السلمی اتقوا الله فی
اهمال حقه وتضجیع حرمته انه سمیع لقولکم علیم بفعلکم ثم نهاهم عن دفع
الصوت فوق صوته والجهر له بالقول کما یجهر بعضهم لبعض ویرفع صوته
وقیل کما ینادی بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مکی ای لا تسابقوه بالکلام
ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضکم لبعض ولکن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما یجب ان ینادی به یا رسول الله یا نبی الله
وهذا کقوله فی الایة الکریمة لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم
بعضا علی احد التاویلین وقال غیره لا تخاطبوه الا مستفهمین ثم خوفهم
الله تعالی بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلک وحذرهم منه قیل نزلت
الایة فی وفد بنی تمیم وقیل فی غیرهم اتوا النبی صلی الله علیه وسلم
فنادوه یا محمد یا محمد اخرج الینا فذمهم الله بالجهل ووصفهم
بان اکثرهم لا یعقلون وقیل نزلت الایة الاولی فی محاورة کانت
بین ابی بکر وعمر بین یدی النبی صلی الله علیه وسلم واختلاف
جری بینهما حتی ارتفعت اصواتهما وقیل نزلت فی ثابت بن
قیس بن شماس خطیب النبی صلی الله علیه وسلم فی مفاخرة بنی
تمیم وکان فی اذنیه صمم فکان یرفع صوته فلما نزلت هذه الایة اقام
فی منزله وخشی ان یکون حبط عمله ثم اتی النبی صلی الله علیه وسلم
فقال یا نبی الله لقد خشیت ان اکون هلکت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهیر الصوت فقال النبی صلی الله علیه وسلم یا ثابت

اما ترضى ان تعيش حميدًا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة
وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها الا كاخى السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان
يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ اَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ
اُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَاَجْرٌ عَظِيمٌ و
قيل نزلت اِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
فى غير بنى تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبى
صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى
ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع
الصوت وقال الله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا قال
بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبى صلى الله
عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ
مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال
وقيل كانت اليهود تعرض بها النبى صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم فى قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل فى عادة الصحابة رضى الله
عنهم فى تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضى
ابو على الصدفى وابو بحر الاسدى سماعى عليهما فى اخرين قالوا

ثنا

ثنا احمد بن عمر ثنا محمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم
بن سفين ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي و
اسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح
قال حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت
اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني
لم اكن املاء عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم بصره اليه الا ابو
بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم
اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين و
جهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورای من تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها
باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط عنه شعرة
الا ابتدروها واذا امر بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا

اصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش انّي جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشيّ في ملكه
وانّي والله ما رايت ملكا في قومه قطّ مثل محمّد في اصحابه وفي رواية
ان رايت ملكا قطّ يعظمه اصحابه ما يعظّم محمّدا اصحابه وقد رايت قوما
لا يسلّمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة
الّا في يد رجل ومن هذا لمّا اذنت قريش لعثمان في الطّواف بالبيت
حين وجهه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اليهم في القضيّة ابى وقال
ما كنت لأفعل حتّى يطوف به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي
حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمّن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقّرونه فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا ممّن قضى
نحبه وفي حديث قيلة فلمّا رايت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقرعون
بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسال
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الامر فاؤخّر سنين من هيبته
فصل واعلم انّ حرمة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حيوته وذلك عند ذكره صلّى الله

عليه

عليه وسلم ● وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه صلى الله عليه
وسلم ● وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله
بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به قال
القاضي ابو الفضل المصنف وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما ●
اجازونيه قالوا ● ثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث ● ثنا ابو الحسن
علي بن فهر ● ثنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن الفرج ● ثنا ابو الحسن عبد
الله بن المنتاب ● ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ● ثنا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ● فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فان الله عز وجل ادب قوما فقال لَا تَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
الاية ومدح قوما فقال اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ اَصْوَاتَهُمْ الاية وذم قوما
فقال اِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا باعبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ● فقال ولم تصرف وجهك عنه ●
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم الى الله تعالى يوم القيمة ●

بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ماحدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه و ينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر ابن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم

فاذا

فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته
ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه و
يتركوه وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل
ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم قال قال الله
تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وحرمته
حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرى حديث
النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما
يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم فصل في سيرة السلف في
تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هرون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن
عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على
لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون

ذا اوماهو قريب من ذا ٭ وفي رواية فتربد وجهه ٭ وفي رواية و
قد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه ٭ وقال ابراهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مرّ مالك بن انس على ابي حازم و
هو يحدّث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ وانا قائم وقال مالك جاء
رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال
له الرجل وددت انك لم تتعنّ فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٭ وانا مضطجع ٭ وروي عن محمد بن سيرين انه
قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال
ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٭ الا وهو على وضوء اجلالا له ٭ وحكى مالك ذلك عن جعفر
بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٭ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه
وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخّر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم • وقال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال ابن ابى اويس فقيل لمالك فى ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا احدث به الا
على طهارة متمكنا • قال وكان يكره ان يحدث فى الطريق او وهو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا ولدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله
لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق
فسالته عن حديث فانتهرنى • وقال لى كنت فى عينى اجل من ان تسال
عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • ونحن نمشى وسال جرير
بن عبد الحميد القاضى عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاضى
فقال القاضى احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازى سال مالكا عن
حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق له فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا ويزيدنى حديثا قال •
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبى صلى الله عليه وسلم •
الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث

وهو على غير وضوء بيممه فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه صلى الله
عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى
إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ الاية وقال تعالى
وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه
وكتبت من اصله قال ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القسم
بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل
ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه
عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل
بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال صلى الله
عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم
معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه
وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه
عن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم

الرجس

الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت اية المباهلة
دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال
اللهم هؤلاء اهلى وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت
مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال صلى الله عليه وسلم
للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله
ورسوله ومن اذى عمى فقد اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه وقال
صلى الله عليه وسلم للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم
بملاءته وقال هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار
كسترى اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين
وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم انى احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فى اهل بيته وقال ايضا والذى نفسى بيده
لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الى ان اصل من قرابتى
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال صلى الله
عليه وسلم من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين و
اباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وقال صلى الله عليه
وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال صلى الله عليه وسلم قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة

لا تؤذيني في عائشة • وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله
عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها
بعلي وعلي يضحك • وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال
اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي
او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد
بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلة لتركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول فقال هكذا نفعل بالعلماء
فقبل زيد بن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله
صلى الله عليه وسلم • ورای ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت
هذا عندی فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر راسه ونقر بيده
الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال
الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم • على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام
لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة
بن زيد رضي الله عنه في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه
لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم • من ابيك واسامة احب اليه منك

فانزت

فأثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط على جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرباه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها

ولما وردت امه حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم
بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره
صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم
فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء
ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله
تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
الى اخر السورة وقال تعالى وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الاية وقال تعالى لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وقال تعالى رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ الاية حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل
قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا
الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفين بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث جابر ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابابكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى وفى اصحابى كلهم خير وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق ونزع باية الحشر وَالَّذِينَ جَاؤُا مِنْ بَعْدِهِمْ الاية وقال صلى الله عليه وسلم من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كان

شافيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابابكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص واحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة وللسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله تعالى واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليها وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي

واصهاري

واصهاری فانه من حفظنی فیهم حفظه الله فی الدنیا والاخرة
ومن لم یحفظنی فیهم تخلی الله منه ومن تخلی الله منه یوشك ان یاخذه
وعنه صلی الله علیه وسلم من حفظنی فی اصحابی کنت له حافظا یوم القیمة
وقال من حفظنی فی اصحابی ورد علی الحوض ومن لم یحفظنی فی اصحابی
لم یرد علی الحوض ولم یرنی الا من بعید قال مالك رحمه الله هذا
النبی صلی الله علیه وسلم مؤدب الخلق الذی هدانا الله به وجعله
رحمة للعالمین یخرج فی جوف اللیل الی البقیع فیدعو لهم ویستغفر کالمودع
لهم وبذلك امره الله وامر النبی صلی الله علیه وسلم بحبهم وموالاتهم
ومعاداة من عاداهم وروی عن کعب لیس احد من اصحاب محمد
صلی الله علیه وسلم الا له شفاعة یوم القیمة وطلب من المغیرة بن
نوفل ان یشفع له یوم القیمة وقال سهل بن عبد الله التستری لم یؤمن
بالرسول صلی الله علیه وسلم من لم یوقر اصحابه ولم یعز اوامره
فصل ومن اعظامه واکباره صلی الله علیه وسلم اعظام جمیع
اسبابه واکرام مشاهده وامکنته من مکة والمدینة وما لمسه صلی الله
علیه وسلم اوعرف به وروی عن صفیة بنت بجدة قالت کان لابی
محذورة قصة فی مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقیل له الا تحلقها فقال لم اکن بالذی احلقها وقد مسها رسول الله
صلی الله علیه وسلم بیده وکانت فی قلنسوة خالد بن الولید شعرات
من شعره صلی الله علیه وسلم فسقطت قلنسوته فی بعض حروبه

فشد عليها شدة انكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها
فقال له افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله
عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروى ابن
عمر رضي الله عنه واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب
بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي رحمه الله كراعا كثيرا
كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب
وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من
الغزاة الرماة انه قال مامسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال
تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال
ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم
انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث
فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب
النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل
الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوء

مقعده

مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع
لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا * نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن
بان عنه ان نلم به ركبا * وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم * انشا يقول متمثلا شعر
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام
وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق
لا ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت
على قدمي * قال القاضي ابو الفضل وجدير لمواطن عمرت بالوحي
والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة و
الروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد
سيد البشر * وانتشر عنها من دين الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم * ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين * ومواقف سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها * ومواطن مهبط الرسالة و
اول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها

وتقبّل ربوعها وجدرانها •
يا دا دخير المرسلين ومن به • هدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة • وتشوّق متوقد الجمرات
وعلىّ عهد ان ملات محاجرى • من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرنّ مصون شيبى بينها • من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدى من حفيل تحيتى • لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتّق نفحة • تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات • ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع • فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
قال الله تعالى إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ الاية • قال ابن عباس معناه ان الله تبارك وتعالى وملئكته يباركون على النبى صلى الله عليه وسلم • وقيل ان الله يترحم على النبى صلى الله عليه وسلم • يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم وهى من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى • وقد ورد فى الحديث صفة صلوة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة • اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء • وقال بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى صلى الله عليه وسلم • رحمة وللنبى صلى الله عليه وسلم • تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العاليه

صلوة

صلوة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوة الملئكة الدعاء وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ
الصلوة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت
هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا
عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه
وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره في معنى السلام عليه ثلثة
وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ
واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل
به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة
لك والانقياد كما قال الله تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة
غير محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء
له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى عن ابي جعفر الطبري ان
محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة
كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصاب

المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه
ان ياتى بها مرة من دهره مع المقدرة على ذلك وقال القاضى ابو
بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه
وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضى ابو محمد بن نصر الصلوة
على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة قال القاضى ابو عبد الله
محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة
على النبى صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين
فى الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه
وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به ورسوله صلى الله
عليه وسلم هو فى الصلوة وقالوا واما فى غيرها فلا خلاف انها غير
واجبة واما فى الصلوة فحكى ابو جعفر الطبرى والطحاوى
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان
الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير واجبة و
شذ الشافعى فى ذلك فقال من لم يصل على النبى صلى الله عليه
وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلوته فاسدة وان
صلى عليه قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى والقشيرى وغير

واحد

ولحد • وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا
صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فان ترك ذلك
تارك فصلوته مجزئة له في مذهب مالك واهل المدينه وسفيان
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراى وغيرهم وهو قول
جمل اهل العلم • وحكى عن مالك وسفيان انها في التشهد
الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي •
فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع
تعمد تركها دون النسيان • وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن
المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم • فريضة قال
ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقال محمد بن عبد الحكم وغيره •
وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلثة اقوال الوجوب
والندب والسنة • وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن
المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي
من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة • قال الخطابي
وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي
ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل
السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه
المسئلة جدا • وهذا تشهد ابن عباس الذي اختاره الشافعي وهو
الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم • ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله

عليه وسلم * وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى
الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه الصلوة على النبي *
صلى الله عليه وسلم * وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم * يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي
سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب * وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث
لا صلوة لمن لم يصل علي * قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل
علي مرة في عمره * وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث *
وفي حديث جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه * قال الدارقطني
الصواب انه قول جعفر بن محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل
فيها على النبي صلى الله عليه وسلم * ولا على اهل بيته لرايت انها لم تتم *
فصل * في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم * ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد
التشهد وقبل الدعاء * ثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه * ثنا
الامام ابو القاسم البلخي * ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم
عن ابي عيسى الحافظ * ثنا محمود بن غيلان * ثنا عبد الله بن يزيد *
المقرئ * ثنا حيوة بن شريح * ثنا ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن

مالك

مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه ولغيره
اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
ثم ليدع بعد ما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح
وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض
ولا يصعد الى الله منه شيء حتى تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى ال محمد
وروى ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه
والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليسئل حاجته فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملاء قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا هراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء
للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار

واسباب الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وفي الحديث الدعا بين
الصلاتين على لا يرد ۞ وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء
فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعا وفي دعاء ابن عباس الذى
رواه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم ۞ ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ۞ ومن مواطن الصلوة
عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان ۞ وقد قال صلى الله
عليه وسلم ۞ رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ۞ عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه
عند التعجب ۞ وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب
قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ۞ ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم يكن تسميته له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي
ان يجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ۞ فيه استنانا وروى
النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم ۞ الامر
بالاكثار من الصلوة يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة عليه والسلام ۞
دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك
عليه وعلى اله ويسلم عليه وعلى اله تسليما ۞ ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي

وافتح

وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك • وقال عمرو بن دينار فى قوله تعالى فَاِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا
على انفسكم قال ان لم يكن فى البيت احد فقل السّلام على النّبىّ ورحمة الله
وبركاته السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين السّلام على اهل البيت
ورحمة الله وبركاته • قال ابن عباس المراد بالبيوت ههنا المساجد و
قال النخعى اذا لم تكن فى المسجد احد فقل السّلام على رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم • واذا لم يكن فى البيت احد فقل السّلام علينا
وعلى عباد الله الصّالحين • وعن علقمة قال اذا دخلت المسجد اقول
السّلام عليك ايها النّبىّ ورحمة الله وبركاته صلّى الله وملئكته على
محمّد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصّلوة واحتجّ ابن
شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
انّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم • كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن
ابى بكر بن عمرو بن حزم وذكر السّلام والرحمة وقد ذكرنا هذا
الحديث اخر القسم والاختلاف فى الفاظه • ومن مواطن الصّلوة
عليه ايضا الصّلوة على الجنائز • وذكر عن ابى امامة انها من السّنّة
ومن مواطن الصّلوة عليه التى مضى عليها عمل الامّة ولم تنكرها
الصّلوة على النّبىّ واله فى الرّسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا فى الصّدر الاوّل واحدث عند ولاية بنى هاشم فمضى به عمل
النّاس فى اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال

صلى الله عليه وسلم • من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم • تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره • قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا
ابو الهيثم • ثنا محمد بن يوسف • ثنا محمد بن اسمعيل • ثنا ابو نعيم • ثنا
الاعمش • عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم • قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح بين السماء والارض
هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد • وقد روى مالك
عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم •
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام • قال محمد بن
مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين • السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملئكة وبني آدم و
الجن • قال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين • السلام عليكم فصل • في كيفية الصلوة عليه والتسليم

حدثنا

حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ● ثنا القاضي ابو الاصبغ ● ثنا ابو عبد الله بن عتاب ● ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ● ثنا عبيد الله ● ثنا يحيى ● ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ● فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم ● وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد ● وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ابراهيم ● وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد ● والسلام كما قد علمتم ● وفي رواية كعب بن عجرة ● اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم ● وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ● وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد ● وفي رواية ابي سعيد الخدري ● اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن ظريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله محمد بن سعدون الفقيه ● ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم ● عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن بن يحيى المساور عن عمرو بن خالد عن زيد

بن علی بن الحسین عن ابیه علی عن ابیه الحسین عن ابیه علیّ بن ابی
طالب قال عدّهنّ فی یدی رسول الله صلّی الله علیه وسلّم وقال
عدّهنّ فی یدی جبرئل وقال هکذا نزلت من عند رب العزّة اللهمّ
علی محمّد وعلی ال محمّد کما صلّیت علی ابراهیم وعلی ال ابراهیم انّک حمید
مجید اللهمّ بارک علی محمّد وعلی ال محمّد کما بارکت علی ابراهیم وعلی
ال ابراهیم انّک حمید مجید اللهمّ وترحّم علی محمّد وعلی ال محمّد کما
ترحّمت علی ابراهیم وعلی ال ابراهیم انک حمید مجید اللهمّ وتحنّن
علی محمّد وعلی ال محمّد کما تحنّنت علی ابراهیم وعلی ال ابراهیم انّک حمید
مجید اللهمّ وسلّم علی محمد وعلی ال محمّد کما سلّمت علی ابراهیم وعلی ال
ابراهیم انّک حمید مجید وعن ابی هریرة عن النبیّ صلّی الله علیه و
سلّم من سرّه ان یکتال بالمکیال الاوفی اذا صلّی علینا اهل البیت
فلیقل اللهمّ صلّ علی محمّد النبیّ الامیّ وازواجه امهات المؤمنین وذرّیته
واهل بیته کما صلّیت علی ابراهیم انّک حمید مجید وفی روایة زید بن
خارجة الانصاریّ سالت النبیّ صلّی الله علیه وسلّم کیف نصلّی
علیک فقال صلّوا واجتهدوا فی الدّعاء ثمّ قولوا اللهمّ بارک علی محمّد
وعلی ال محمّد کما بارکت علی ابراهیم انّک حمید مجید وعن سلامة
الکندیّ کان علیّ یعلّمنا الصّلوة علی النبیّ صلّی الله علیه وسلّم اللهمّ
داحی المدحوّات وباری المسموکات اجعل شرائف صلواتک ونوامی
برکاتک ورافة تحیّتک علی محمّد عبدک ورسولک الفاتح لما اغلق

والخاتم

والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل
فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل
باهله اسبابه . هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج
موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجره مضاعفات
الخير من فضلك مهنّات له غير مكدّرات من فوز ثوابك المحلول
وجزيل عطائك المامول . اللهم اعد على بناء الناس البانين
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم وعنه ايضا فى الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
إِنَّ اللّٰهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الاية لبيك اللهم ربى و
سعديك صلوات الله البر الرحيم . والملئكة المقربين والنبيين
والصديقين والشهداء والصالحين . وما سبح لك من شئ يا
رب العالمين . على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى
اليك باذنك السراج المنير . وعليه السلام . وعن عبد الله بن
مسعود . اللهم اجعل صلوتك وبركاتك ورحمتك على سيد

المرسلين • وامام المتقين • وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة • اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والاخرون • اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد • وبارك على محمد وعلى ال محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري يقول ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى صلى الله
عليه وسلم • فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده
وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه و
اتباعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين •
وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول • اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة و
الاولى كما اتيت ابراهيم وموسى • وعن وهيب بن الورد
انه كان يقول في دعائه • اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه
واعط محمدا افضل ما سالك احد من خلقك • واعط محمدا افضل
ما انت مسؤل له الى يوم القيمة • وعن عبد الله بن مسعود انه
كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم • فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه • وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين • وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول

الرحمة

الرحمة ● اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ●
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد
مجيد ● وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم
كثير ● وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى ●
عباد الله الصالحين ● وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام
على انبياء الله ورسله ● السلام على رسول الله السلام على محمد بن
عبد الله ● السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم و
من شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر
لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين ● السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء ●
في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران
وفي حديث الصلوة عنه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في
غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة ● وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم ● بالرحمة
وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن زيد في الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم ● اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم ●

وال ابراهيم ولم يات هذا فى حديث صحيح وحجته قوله فى السلام
السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فصل فى فضيلة
الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له
حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضى يونس بن
مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائى انا سويد بن نصر
انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرنى كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من
عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لى الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال من صلى على صلوة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية
وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان
جبرئيل نادانى فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله
عليه وسلم قال لقيت جبرئيل فقال لى انى ابشرك ان الله تعالى
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه

ونحوه

ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله
بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم
القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم
القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي
صلوة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر و
ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل
قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك
فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها
لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما
يمنعني وقد خرج جبرئيل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني
اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه و
ملئكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابى وقاص
من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا و
بالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الاثار
ليردن على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم على وفى اخرات
انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة وعن ابى
بكر الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد
للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل فى ذم من لم يصل على
النبى صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا ثنا ابو يعلى
ثنا السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم
الدورقى ثنا ربعى بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
بن ابى سعيد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده الكبر ابواه
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث

اخر

اخوان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد
فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل
صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل
عليك فمات فادخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال
فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل
علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن
علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال قال
ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا
قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت
عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي
هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه
صلى الله عليه وسلم قال من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي
علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله
عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من
الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل
على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك
المجلس فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلوة من صلى
عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين
بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي
صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن
ابي شيبه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا ابلغته وعن
ابن مسعود ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي
السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر قال اكثروا من السلام
على نبيكم صلى الله عليه وسلم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة
وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين
يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم
فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة

محمد

محمد يسلم عليه ويصلى عليه الا بلغه • وذكر بعضهم ان العبد اذا
صلى على النبي صلى الله عليه وسلم • عرض عليه اسمه وعن الحسن
بن على اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا
بيوتكم قبورا وصلوا على حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا على من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
على • وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم •
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم واردّ عليهم • وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال اكثروا من الصلوة على في الليلة الزهراء و
اليوم الازهر فانهما يؤدّيان عنكم فان الارض لا تاكل اجساد الانبياء
وما من مسلم يصلى على الا حملها ملك حتى يؤدّيها الى ويسميه حتى
انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة
على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال الفقيه القاضي ابو
الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم • وروى عن ابن عباس انه قال لا يجوز الصلوة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم • وروى عنه لا ينبغي الصلوة على احد
الا النبيين • وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط
بعض شيوخ مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى

محمد صلى الله عليه وسلم ● وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك
في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به ● قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء
كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر و بما جاء في حديث تعليم النبي
صلى الله عليه وسلم ● الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت
معلقا عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس كراهة الصلوة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم ● قال وبه اقول ولم يكن يستعمل فيما مضى ●
وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ● صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد
عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هُوَ الَّذِي ●
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ الاية ● وقال تعالى خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ الاية ● وقال تعالى اُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ● وقال النبي صلى الله عليه وسلم ● اللهم صل
على ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم ● قال اللهم صل على فلان
وفي حديث الصلوة ● اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته
وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه ● وقيل امته ● وقيل ال بيته ● وقيل
الاتباع والرهط والعشيرة ● وقيل ال الرجل ولده ● وقيل قومه ●
وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي ●

صلى الله

صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل تقي ويجي على مذهب الحسن
ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال احمد يريد نفسه
لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو
الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي
مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي
حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي
بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من
رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن
مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات
قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي
المصنف والذي اليه ذهب المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان
رحمهما الله تعالى وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد
من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو
شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر

من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يَقُولُونَ
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ • وقال تعالى وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ • وايضا فهو امر
لم يكن معروفا فى الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والمتشيعة فى بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم
بالنبى صلى الله عليه وسلم • فى ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع
منهى عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على
الال والازواج مع النبى صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على سبيل التخصيص قالوا وصلوة النبى صلى الله عليه وسلم •
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابى المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل فى حكم •
زيارة قبره صلى الله عليه وسلم • وفضيلة من زاره وسلم عليه
وكيف يسلم ويدعوا وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم • سنة
من سنن المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر
قال النبى صلى الله عليه وسلم • من زار قبرى وجبت له شفاعتى و
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • من زارنى
فى المدينة محتسبا كان فى جوارى وكنت له شفيعا يوم القيمة وفى حديث

اخر

اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان
يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم • وقد اختلف في معنى
ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم •
لعن الله زوّرات القبور وهذا يرده قوله عليه الصلوة والسلام
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله صلى الله عليه وسلم •
من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة • وقيل ان ذلك لما قيل ان الزائر
افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم تعالى
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى • وقال ابو عمران انما كره مالك
ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم •
لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه
وسلم • وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم • يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافة الى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم • وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم • لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم • اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا
للذريعة وحسما للباب والله اعلم • قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما

لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة فى مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يده وموطئ قدميه والعمود الذى كان
يستند اليه وينزل جبرئيل بالوحى فيه عليه وبمن عمره وقصده من
الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابى فديك
سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبى
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية انَّ اللهَ وَمَلٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا ثم قال
صلى الله عليك يا محمد يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابى سعيد المهرى
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة اذا اتيت
المدينة سترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاقرءه منى السلام
قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن
مالك اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس
القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبى صلى الله
عليه وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضى قال ابن ابى مليكة من احب

ان يقوم

ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى
فى القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رايته مائة مرة واكثر يجئ الى القبر فيقول السلام على النبي السلام
على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطاء من رواية يحيى بن
يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وعند ابن القاسم
والقعبنى ويدعوا لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب
يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال
فى المبسوط وسلم قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه يدعوا
للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابى بكر وعمر كما فى حديث
ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته على محمد اللهم اغفرلى
ذنوبي وافتح لى على ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتاك فى غير الروضة اجزتاك وفى الروضة افضل
وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض
الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة ثم يقف بالقبر متواضعا

متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما
واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار
ولا تدع ان تاتي مسجد قبا وقبور الشهداء ❁ قال مالك في كتاب
محمد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ❁ اذا دخل وخرج يعني
في المدينة وفيما بين ذلك ❁ قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا ❁ وروى ابن وهب عن
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ❁ ان النبي صلى الله عليه
وسلم ❁ قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ❁ وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ❁ وقل اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ❁ وفي رواية اخرى فليسلم مكان
فليصل ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك ❁ وفي اخرى
اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ❁
توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك ❁ وعن فاطمة ايضا كان
النبي صلى الله عليه وسلم ❁ اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا ❁ وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم ❁ وذكر مثله وفي رواية بسم الله ❁

والسلام

والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي
ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك
في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من
سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة
او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا
ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم
ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك راى قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء
لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم

مساجد وقال لا تجعلوا قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى
فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية
يبدا بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم و
احب مواضع التنفل فيه مصلى النبى صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء
احب الى من التنفل فى البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد
النبى صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى
المدينة ومكة قال الله تعالى لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ اَوَّلِ
يَوْمٍ اَحَقُّ اَنْ تَقُومَ فِيهِ روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل
اى مسجد هو قال مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضوان الله عنهم وعن ابن عباس
انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه ثنا الحسين
بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمرى ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا
ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهرى
عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار فى الصلوة والسلام على
النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن

عمرو

عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد
قال اعوذ بالله العظيم • وبوجهه الكريم • وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم • وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال
رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع
فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي
حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم • والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم قال القاضي اسمعيل • وقال محمد بن مسلمة ويكره في
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم • الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلوتهم وليس فيما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا
وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم • صلوة في مسجدي هذا
خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام • قال القاضي
المصنف اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم •
في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه
وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم • افضل من الصلوة في سائر

المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدينة وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل

رمضان

رمضان بالمدينة وغيرها احدثنا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري على
ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت
بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني
ان البيت هذا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت
معاني الروايات ولم يكن فيها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته
وقوله صلى الله عليه وسلم ومنبري على حوضي قيل يحتمل ان منبره
بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر
والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة
يورد الحوض ويوجب الشرب منه قال الباجي وقوله صلى الله عليه
وسلم روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت
ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها
وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

وقال صلى الله عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال صلى الله عليه وسلم لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا
ابدلها الله خيرا منه وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات
في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وفي طريق اخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى إِنَّ أَوَّلَ
بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا الى قوله آمِنًا قال بعض المفسرين
امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه
في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا
على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل
فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان
من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا ملك من
عند الله من كان له على الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله
شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

وحكي

وحشر يوم القيمة من الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي
رحمه الله حدثك ابو العباس العذري ثنا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق قال سمعت ابا الحسن
محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت
ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار
وانا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفين وانا فادعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي
وقال الحميدي وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فادعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي
وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما
اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجوا

ان يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى وانا فما دعوت الله بشئ
فى هذا الملتزم مذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى • قال
ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لى بعضها
وارجوا من سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها • قال القاضى ابو الفضل
المصنف ذكرنا نبذا من هذه النكت فى هذا الفصل وان لم تكن من
الباب لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة والله
الموفق للصواب بمنه وكرمه وهو ارحم الراحمين القسم الثالث
فيما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم • وما يستحيل او يجوز عليه ومايمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه • قال الله تعالى وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ الاية •
وقال تعالى مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ • وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ • وقال تعالى قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم • وسائر الانبياء
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم • قال الله تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ
رجلا اى لما كان الا فى صورة البشر الذى يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته • وقال تعالى
قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

مطمئنين

ملكاً رسولاً اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفيه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرئ على البشر من الاعراض والاسقام والموت و
الفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف
البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملئكة سليمة من التغير و
الافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت
بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة
الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملئكة
كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت
ابابكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال
صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال صلى الله عليه
وسلم انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم
منزهة عن الافات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة

لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتى
بعد هذا فى البابين بعون الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل الباب
الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله اعلم ان الطوارى من التغييرات والافات على اجساد البشر
لا تخلو ان تطرا على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض
والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى
رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم الافات والتغييرات بالاختيار وبغير
الاختيار فى هذه الوجوه كلها والنبى صلى الله عليه وسلم وان كان
من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى
فيما ناتى به من التفاصيل فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه
وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه فعلى
غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشىء من ذلك
او الشك او الريب منه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون

فى عقود

فى عقود الانجيا سواء ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم فى اخبار الله تعالى له
باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة
الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته و
مشاهدته الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله
اولم تؤمن اى تصدق بمنزلتك منى وخلتك واصطفائك الوجه الثالث
انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن فى الاول شك
اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل فى قوتها فطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز فى النظريات فاراد الانتقال
من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقى من علم اليقين الى عين
اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله الوجه الرابع
انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من
ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبى عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك
وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه و قول نبينا صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد

للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اى نحن موقنون بالبعث واحياء
الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
او يريد ان امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع و
الاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله تعالى فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ
يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ الاية فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا واختلفوا
فى معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الاية
قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا ايها
النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي الاية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ
هٰؤُلَاءِ ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تريه يقول وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد

بالخطاب

بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فسئل به خبيرا المامور ههنا
غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي صلى الله عليه وسلم
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول المستخبر السائل وقال
ان هذا الشك الذى امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما
دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وَاسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي
صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من
قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا الكلام اَجَعَلْنَا مِنْ دُوْنِ
الرَّحْمٰنِ الى اخر الاية على طريق الانكار اى ما جعلنا حكاه مكي وقيل
المراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء عن
ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه صلى الله
عليه وسلم قال لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم
من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذى قبله اعلامه بما بعثت به الرسل
وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَا اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰى وكذلك قوله تعالى
وَالَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْلَمُوْنَ اَنَّهٗ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُوْنَنَّ
مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس

المراد به شكه فيما ذكره فى اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين * بدليل قوله تعالى اول الاية أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا الاية * وان النبى صلى الله عليه وسلم * يخاطبه بذلك غيره * وقيل هو تقرير كقوله تعالى ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ * وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فاسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك * وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك * وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها * وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا وظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين * وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد الى الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلما وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا وكذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبتدء الوحى من قول خديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد روية الملك ولكن لعله خشى ان لا يحتمل قوة مقاومة الملك واعباء الوحى لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قال بعد لقائه الملك

او يكون ذلك قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له بالنبوّة لاوّل ما
عرضت عليه من العجائب وسلّم عليه الحجر والشجر وبداءة المنامات و
التباشير كما روى فى بعض طرق هذا الحديث انّ ذلك كان اوّلاً فى
المنام ثمّ ارى فى اليقظة مثل ذلك تانيسا له صلّى الله عليه وسلّم
لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاوّل حالة بنيته
البشرية ۞ وفى الصحيح عن عائشة اوّل ما بدئ به رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم ۞ من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثمّ حبّب اليه الخلاء وقالت
الى ان جاءه الحقّ وهو فى غار حراء الحديث ۞ وعن ابن عبّاس مكث
النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ۞ بمكّة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد
روى ابن اسحق عن بعضهم انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ۞ قال وذكر
جواره بحراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو
حديث عائشة فى غطّه له واقرائه اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ السورة قال فانصرف
عنّى وهببت من نومى كانّما صوّرت فى قلبى ولم يكن ابغض الىّ
من شاعر او مجنون قلت لا تحدّث عنّى قريش بهذا ابدا لاعمدنّ الى
حالق من الجبل فلاطرحنّ نفسى منه فلاقتلها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا من السماء يا محمّد انت رسول الله وانا جبرئل ۞
فرفعت راسى فاذا جبرئل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بيّن
فى هذا انّ قوله لما قال وقصده ما قصد انّما كان قبل لقاء جبرئل

عليهما السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره اصطفاءه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله
ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان
يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعرا ومجنون وعلى هذا يتاول لوضوح والفاظا يفهم منها
معاني الشك في تصحيح ماراه وانه كان كله في ابتدا امره وقبل لقاء
الملك واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لاتصح
طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه
ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان
ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة
اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها
امر جبرئل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك
ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن
يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة

ان تخبر

ان تخبر الامر بذلك • وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم • يا ابن عمّ هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبرئل اخبرها فقالت له اجلس
الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا
الملك يا ابن عمّ فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم •
وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في
هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته
ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم • قاله ولا يعرف
مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم • مع انه قد يحمل على
انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا • ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا معه بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه
وسلم • واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك وتزمل
في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبرئل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر
او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه

ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرعي بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو
هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به
من العذاب وقول الله في يونس فَظَنَّ اَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ معناه ان
لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل
نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل نواخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام
ولا يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله
اِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه تعالى اذ مغاضبة الله معاداة ومعاداة الله
كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه
بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما
امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس
غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج مغاضبا وقد روى عن ابن
عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت فاستدل
من الاية بقوله فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَاَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ
وَاَرْسَلْنَاهُ اِلَى مِائَةِ اَلْفٍ ويستدل ايضا بقوله وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْحُوتِ وذكر القصة ثم قال فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله

عليه

عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة
وفى طريق فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان
يكون هذا الغين وسوسة او رينا وقع فى قلبه صلى الله عليه وسلم
بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شئ يغشى
القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهواء فلا
يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة
او اكثر من سبعين فى اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو
اكثر الروايات وانما هو عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة
الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من
مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولى و
مصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل
هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت
حاله عند خلوص قلبه وخلوة همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه راى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله
بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من
ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال

كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محيّاه ومبنىّ على جواز الفترات والغفلات والسهو
في غير طريق البلاغ على ما سيأتي ۞ وذهبت طائفة من ارباب القلوب
ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
جملة واجلّه ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث
ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى الله عليه وسلم ۞ لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على
قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ۞ ويكون
استغفاره صلى الله عليه وسلم ۞ عند هاظهارا للعبودية والافتقار
قال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار
وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون
هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا
لله وملازمة لعبوديته كما قال صلى الله عليه وسلم ۞ في ملازمة العبادة
افلا اكون عبدا شكورا ۞ وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى
في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدٰى
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ وقوله تعالى لنوح عليه السلام فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنِّي اَعِظُكَ اَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ فاعلم انه لا يلتفت في ذلك

الى قول

الى قول من قال فى اية نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم لاتكوننّ ممّن يجهل
انّ الله لوشاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح لاتكوننّ ممّن يجهل انّ
وعد الله حقّ لقوله وَاِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله تعالى وذلك لايجوز على الانبياء والمقصود وعظهم الّا
يتشبّهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال الله تعالى اِنِّي اَعِظُكَ
وليس فى اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون
عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسالنى ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لانّ مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله ان يسال عمّا طوى عنه علمه واكنّه من غيبه من
السّبب الموجب لهلاك ابنه ثمّ اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله تعالى اِنَّهُ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ اِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ حكى معناه مكّىّ كذلك
امر نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم فى الاية الاخرى بالتزام الصّبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدّة التحسّر حكاه
ابوبكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامّة محمّد صلّى الله عليه و
سلّم اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمّد مكّىّ وقال مثله
فى القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد
النّبوّة قطعا فان قلت فاذا قرّرت عصمتهم من هذا فانّه لايجوز
عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبيّنا صلّى الله عليه
وسلّم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

الاية وقوله وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ الاية
وقوله إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ * وقوله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *
وقوله وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وقوله فَإِنْ
يَشَاءِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ * وقوله وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
وقوله اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فاعلم وفقنا الله وإياك
انه صلى الله عليه وسلم * لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او ان يفترى
عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه وان لم يكن بهذه السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ كما قال تعالى لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم فى
الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف
للنفس واما قوله وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ الاية وقوله اذا
لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك
لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم * لا يفعله وكذلك قوله
وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ فالمراد غيره كما
قال تعالى إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الاية * وقوله فَإِنْ يَشَاءِ اللهُ يَخْتِمْ
عَلَى قَلْبِكَ * وقوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وما اشبهه فالمراد غيره
وان هذا حال من اشرك والنبى صلى الله عليه وسلم * لا يجوز عليه هذا

وقوله اِتَّقِ اللّٰهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ فليس فيه انّه اطاعهم والله ينهاه عمّا يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ الاية وماكان طردهم صلّى الله عليه وسلّم ولاكان من الظّالمين

فصل واما عصمتهم من هذا الفنّ قبل النبوّة فللنّاس فيه خلاف والصّواب انّهم معصومون قبل النبوّة من الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شئ من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النّقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التّوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السّعادة كما نبّهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاوّل من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار انّ احدا نبّئ واصطفى ممّن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النّقل وقد استدلّ بعضهم بانّ القلوب تنفر عمّن كانت هذه سبيله وانا اقول انّ قريشا قد رمت نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بكلّ ما افترته وعيّر كفّار الامم انبياءها بكلّ ما امكنها واختلقته ممّا نصّ الله عليه او نقلته الينا الرّواة ولم نجد فى شئ من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمّه بترك ماكان قد جاءهم عليه ولوكان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلوّنه فى معبوده محتجّين ولكان توبيخهم له بنهيهم عمّا كان يعبد قبل افظع واقطع فى الحجّة من توبيخه بنهيهم عن عبادة الهتهم وماكان يعبد اباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه دليل

على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولّيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ الاية وبقوله تعالى وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ الى قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهٖ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور و يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا مالا يجوّزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتيه جبرئل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبداء ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اى على قولكم كما قال تعالى اَيْنَ شُرَكَائِيَ اى عندكم و يدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهٖ مَا تَعْبُدُونَ ثم

قال

قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون • أنتم وآباؤكم الأقدمون • فإنهم
عدو لي إلا رب العالمين • وقال إذ جاء ربه بقلب سليم • أي من
الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام • فإن قلت فما
معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • قيل أنه
ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى
الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان
قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا
أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة
العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم
فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله
قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك • فان قلت فما
معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل
ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان
والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان
صلى الله عليه وسلم • يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه

وتشرّع به حتى هداه الله الى الاسلام • قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ • قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له معصية وقيل
هدى اي بيّن امرك بالبراهين • وقيل وجدك ضالا بين مكة
والمدينة فهداك الى المدينة • وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا
وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرء الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى
اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال تعالى إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ اي محبتك القديمة
ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي لكفروا ومثله
عند هذا قوله إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي محبة بيّنة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ الاية • وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة
حتى اظهرك الله فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين
فيها ضالا عن الايمان وكذلك قصة موسى عليه السلام قوله فَعَلْتُهَا
إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد
قاله ابن عرفة • وقال الازهري معناه من الناسين • وقد قيل
ذلك في قوله تعالى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى اي ناسيا كما قال تعالى
أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا • فان قلت فما معنى قوله تعالى مَا كُنْتَ تَدْرِي

مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ فالجواب ان السمرقندى قال معناه ما كنت
تدرى قبل الوحى ان تقرء القران ولا كيف تدعوا الخلق الى الايمان
وقال بكر القاضى نحوه قال والايمان الذى هو الفرائض والاحكام
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ فاعلم انه ليس بمعنى قوله وَالَّذِينَ هُمْ
عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين
عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى
يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين
خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم خلفه فقال الاخر
كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد
فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه
بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله صلى الله عليه
وسلم بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى
روته ام ايمن حين كلمه عمه قال فى حضور بعض اعيادهم وعزموا
عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما

دنوت منها من صنم تمثّل لى شخص ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسّه
فما شهد بعد لهم عيدا وقوله صلى الله عليه وسلم فى قصة بحيراء
حين استحلف النبىّ صلى الله عليه وسلم باللات والعزّى اذ لقيه
بالشام فى سفرته مع عمّه ابى طالب وهو صبىّ وراى فيه علامات النبوّة
فاختبره بذلك فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما
فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيراء فبالله الا ما اخبرتنى
عما اسألك عنه فقال سل عمّا بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله
عليه وسلم وتوفيق الله له انّه كان قبل نبوّته يخالف المشركين فى وقوفهم
بمزدلفة فى الحجّ فكان هو يقف بعرفة لانّه كان موقف ابراهيم عليه
السّلام فصل قال القاضى ابو الفضل رحمه الله قد بان بما قدّمناه
عقود الانبياء فى التّوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فى ذلك
على ما بيّنّاه فامّا ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انّها
مملوءة علما ويقينا على الجملة وانّها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور
الدّين والدّنيا ما لا شىء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث
وتامّل ما قلناه وجده وقد قدّمنا منه فى حقّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم
فى الباب الرّابع اوّل قسم من هذا الكتاب ما ينبّه على ما وراءه الا
انّ احوالهم فى هذه المعارف مختلفة فامّا ما تعلّق منها بامر
الدّنيا فلا يشترط فى حقّ الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه

اذ

اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانباءها واوامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدى الى الغفلة والبله
وهم منزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم
وهدايتهم والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم
العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء صلى الله عليه وسلم
وسيرهم فى هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة
واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبى
صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلوا
ان يكون قد حصل عنده ذلك عن وحى من الله فهو ما لا يصح
الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين
او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه فى ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى
حديث ام سلمة انى انما اقضى بينكم برايى فيما لم ينزل على فيه
خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راى
بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا
وصحيحا هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه

ممن اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين
الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق
في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء في
الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو
بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى
استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في
ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه
لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت
معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه
اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقد من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء و
علم ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم
فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين
لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم

ذلك

ذلك ماليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم انى لا اعلم
الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وقول موسى لخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما عُلِّمْتَ
رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك باسمائك الحسنى ما
علمت منها وما لم اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك بكل اسم
سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم
الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا
منتهى لها هذا حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجتمعة
على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا
في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل
ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان
عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل الله
به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور

فلا يامرني الا بخير ۝ وعن عائشة بمعناه وروى فاسلم بضم الميم
اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم
يعنى القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير
كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو
الفضل المصنف فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل بني
ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه
وقد جاءت الاثار بتصدى الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء
نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يأسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلوته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ۝
فاسره ففي الصحاح ۝ قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي
الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمن رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ
هَبْ لِي مُلْكًا الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء
عنه صلى الله عليه وسلم ۝ ان عدو الله ابليس جاء في بشهاب من
نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال
لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة ۝ وكذلك في حديثه
في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبرئيل ما يتعوذ به منه

ذكره

ذكره فى الموطأ، ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقصته مع قريش فى الايتمار بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ● وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وَاِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اَعْمَالَهُمْ ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره ● وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ● ان عيسى عليه السلام كفى من لمسه فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين ثقل فى مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علىّ فان قيل فما معنى قوله تعالى وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله وَاَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى مِنْ بَعْدِ اَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ اِخْوَتِى ● وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له

ولم يجعل له قدرة عليه • وقد قيل فى هذه الاية غير هذا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى اول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبى صلى الله عليه وسلم • ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه
لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته • فان قيل فما معنى
قوله تعالى وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ اِلَّا اِذَا تَمَنَّى
اَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي اُمْنِيَّتِهِ الاية فاعلم ان للناس فى معنا هذه الاية
اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمنى ههنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من
التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه و
يحكم اياته وسياتى الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان
شاء الله تعالى • وقد حكى السمرقندى انكار قول من قال بتسلط
الشيطان على ملك سليمن وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمن مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد
الذى ولد له • وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب وقوله اَنِّي
مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ • انه لا يجوز لاحد ان يتاول

ان

ان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون ذلك
الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثبتهم قال مكى وان الذى
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى
عن يوشع وَمَا اَنْسَانِيهُ اِلَّا الشَّيْطَانُ اَنْ اَذْكُرَهُ وقوله تعالى عن
يوسف فَاَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ وقول نبينا صلى الله عليه وسلم
حين نام عن الصلوة ويوم الوادى ان هذا واد به شيطان و
قول موسى عليه السلام فى وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان
هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم
كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس
الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان
وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له فى ذلك
الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِفَتٰيهُ والمروى
انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القران الكريم وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته
وقد قال المفسرون فى قوله فَاَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ قولين احدهما ان
الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه الملك
اى انسيه الشيطان ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف
ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر

وتذكيرهما من امورهما ما يخشيهما ما نسياه واما قوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له بل كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدء الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل
بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب
النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى
وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا
اعتراض به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله
صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على
صدقه واجتمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من
الاخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
او غلطا اما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما
وقوعه على جهة الغلط فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى اسحق الاسفرائني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبى صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضى ابى بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم
فى مقتضى دليل المعجزة ولا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب

فلنعتمد

فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمعه منك قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل والمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرىٰ قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى

ترتضى وفى رواية وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفى اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع فى بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى الا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبرئيل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الاية وقوله وَاِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير و تعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه قالها فى الصلوة واخر يقول قالها فى نادى قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسهى واخر يقول ان الشيطان

قالها

قالها على لسانه وانّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا عرضها على جبرئل
قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان انّ النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم قرأها فلمّا بلغ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك قال والله
ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرّواة ومن حكيت هذه الحكاية
عنه من المفسّرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابى
بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال فيما احسب الشكّ فى الحديث
انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان بمكّة وذكر القصّة قال ابو بكر البزّار
هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم باسناد
متّصل يجوز ذكره الّا هذا ولم يسنده عن شعبة الّا امية بن خالد
وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانّما يعرف عن الكلبيّ عن ابى صالح
عن ابن عبّاس فقد بيّن لك ابو بكر رحمه الله انّه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره سوى هذا وفيه من الضّعف ما نبّه عليه مع وقوع الشكّ فيه كما
ذكرناه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبى فما
لا يجوز الرّواية عنه ولا ذكره لقوّة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزّار
رحمه الله والذى منه فى الصحيح انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ
والنجم وهو بمكّة فسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والانس
هذا توهينه من طريق النّقل فامّا من جهة المعنى فقد قامت الحجّة
واجمعت الامّة على عصمته صلّى الله عليه وسلّم ونزاهته عن مثل

هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة
غير الله وهو كفر وان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى
يجعل فيه ماليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران
ماليس منه حتى ينبهه جبرئيل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه
صلى الله عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من ذلك كله وقد
قررنا بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان تشتبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي
الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا
ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ
الاية وقال تعالى إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ الاية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا
الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج
المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه
وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه
ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة
المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم

لاقل

لا قل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفتنة بعد الفتنة وارتد
من فى قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد فى هذه
القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك لبعض
الضعفاء ردة وكذلك ما روى فى قصة القضية ولا فتنة اعظم
من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادى حينئذ اشد من
هذه الحادثة لو امكنت فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك فى ادخال
بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ° ووجه رابع ذكر الرواة لهذه
القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان
الايتان تردان الخبر الذى رووه لان الله تعالى ذكر انهم
كادوا يفتنونه حتى يفترى وانه لولا ان ثبته الله تعالى لكاد
يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفترى
وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون فى اخبارهم
الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه
الصلوة والسلام ° افتريت على الله وقلت عليه ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الاية وهى تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له

وهذا مثل قوله تعالى فى الاية الاخرى وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَ
رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ اَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا
يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وقد روى عن ابن عباس كلما فى القران كاد فهو
ما لا يكون قال الله تعالى يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْاَبْصَارِ ولم
يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل • وقال القشيرى القاضى ولقد
طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل • قال ابن الانبارى ما قارب
الرسول صلى الله عليه وسلم • ولا ركن وقد ذكرت فى معنى الاية
تفاسير غير ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله
عليه وسلم • برد سفسافها فلم يبق فى الاية الا ان الله تعالى امتن
على رسوله صلى الله عليه وسلم • بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار
وداموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه
وسلم وهو مفهوم الاية • واما الماخذ الثانى فهو مبنى على
تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك
غرجال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث و
السمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبى صلى الله عليه و
سلم • اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام
على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبى صلى الله
عليه وسلم • مثله فى حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه •

ولا

ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته فى هذا
الباب من جميع العمد والسهو وفى قول الكلبى ان النبى صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفى رواية ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن قال وسها
فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح
ان يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبى صلى الله عليه وسلم قاله
اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا
ربى على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت و
بيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المسلو وهو احد ما ذكره
القاضى ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان فى الصلوة فقد
كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذى يظهر ويترجح فى تاويله عنده
وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الايات تفصيلا
فى قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول
النبى صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند

المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك هي على ما انزلها الله وتحققهم من
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف
منه وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين
لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وَمَا اَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا اَمَانِيَّ اى تلاوة وقوله تعالى فَيَنْسَخُ اللّٰهُ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ اى يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى
الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ
فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه
وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني و
تبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية
منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين
على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر
في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان
سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان يكون ان هذا كان قرانا هذا قرانا
والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية

وبهذا

وبهذا فسّر الكلبي الغرانقة انها الملئكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ان الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملئكة صحيح فلما تلاه المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبّس عليهم الشيطان ذلك وزيّنه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ودفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ودفع تلاوته وكان في انزال الله لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليُضِلَّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ولِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمّها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه

الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبيّن للناس الحق من ذلك
من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به الملحد وكما ضمنه
تعالى من قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ الاية ومن ذلك ما روى في
قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب من ربه فلما
تابوا كشف الله عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم و
انما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه
من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك
كما قال ثم دفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ الاية وروي
في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود وقال
سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما
معنى ما روى من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم
اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول
او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول
له اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب

سميعا

سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفى الصحيح عن انس ان
نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم
ارتد وكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله
واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا
اذ هى حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم
فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا
والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن
احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة ما قاله وافتراه على نبى
الله صلى الله عليه وسلم وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها
قدح ولا توهيم للنبى صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن فى نظم القران
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم
حكيم او كتبه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار
الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها و
يقتضى وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام و معرفته به وجودة

حسته وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتدء الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة
الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام
ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاي
وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
احدهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله
من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي
مثل قوله اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ وهذه قراءة الجمهور وقد قرء جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرء
بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق فكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان
يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران
فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما
طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند
لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا

واحوال

واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان
يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه
معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من
دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع
اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
في ذلك ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل
وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين
اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي
كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في
شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله او
اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصة
رجوعه صلى الله عليه وسلم عن ما اشار به على الانصار في تلقيح النخل
فكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا
الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله
عليه وسلم انكم تختصمون الي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم

اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كلا في هذا من مشكل في
هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباههما وايضا فان
الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على
اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في
النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان
تعمد الكذب ايضا في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويشيع مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة
بذلك • واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر
فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه
النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ و
الاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة •
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في
تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز
عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال
دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وتنفر القلوب عن تصديقهم

بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش و
غيرها من الامم وسوالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما
يتبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم
بن جعفر ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا
ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى
عن مالك عن داود بن الحصين عن سفين مولى ابن ابي احمد انه قال
سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله
اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث
بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
على التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم
والغلط فيما ليس طريقه من القول والبلاغ وهو الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو

والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه فى مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسنّ فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمّد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنّه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره فى موضعه • واما على احالة السهو عليه
فى الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره
ففيه اجوبة منها ان النبى صلى الله عليه وسلم • اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا • واما النسيان
فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم • عن اعتقاده وانه لم ينس فى
ظنّه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق
ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اى انى سلمت
قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس السلام وهذا محتمل
وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله
اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان
احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو
قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من
هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها
والذى اقول ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله
صلى الله عليه وسلم • لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه
وانكره على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم • بئس ما لاحدكم ان يقول

نسيت

نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسى وبقوله صلى الله عليه وسلم في بعض
روايات الحديث لست انسى ولكنى انسى فلما قال له السائل اقصرت
الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه
وانه ان كان جرى شئ من ذلك فقد نسى حتى سال غيره فتحقق انه
نسى واجرى عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا
لم انس ولم تقصر اى كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم
ينس حقيقة ولكنه نسى ووجه اخر استنزته من كلام بعض المشايخ
وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا اذ تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله صلى الله
عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة كلمات
ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث
المنصوصة في القران منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختى فاعلم اكرمك الله
ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهى
داخلة في باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
انى سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اى ان كل مخلوق

معرّض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدّر عليّ بالموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمّى تاخذه عند طلوع نجم
معلوم فلمّا رآه اعتذر بعادته وكلّ هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجّته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانّه اثنى نظره
في ذلك وقيل استقامة حجّته عليهم في حال سقم ومرض حال
مع انّه لم يشكّ هو ولا ضعف ايمانه ولكنّه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال سقيمة ونظر معلول حتّى الهمه الله
تعالى باستدلاله وصحّة حجّته عليهم بالكوكب والقمر والشمس
ما نصّه الله وقد قدّمنا بيانه واما قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا
الاية فانّه علّق خبره بشرط نطقه كانّه قال ان كان ينطق فهو فعله
على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله
اختي فقد بيّن في الحديث وقال فانّك اختي في الاسلام وهو صدق
والله يقول إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سمّاها كذبات وقال صلى الله عليه وسلم لم يكذب
ابراهيم النبي الا ثلث كذبات وقال صلى الله عليه وسلم في
حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انّه لم يتكلّم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقّا في الباطن الا هذه الكلمات ولمّا

كان

كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من
مؤاخذته بها • واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم •
اذا اراد غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر
مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى عليه السلام • وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم
فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى
عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انباه الله انه ليس
كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن
عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق
وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف
فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم
التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه
بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم

على الخصوص بما اعلم ويدلّ عليه قوله تعالى وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانّه لم يردّ العلم اليه
كما قالت الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا ولانّه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم تبلغ كماله فى تزكية نفسه وعلوّ
درجته من امّته فيهلك بما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه
ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدّعوى وان نزّه عن هذه الرّذائل
الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك نيلها الّا من عصمه الله تعالى
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم
تحفّظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث
احدى حجج القائلين بنبوّة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى و
لا يكون الولىّ اعلم من النبىّ واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف
وبقوله وما فعلته عن امرى فدلّ انّه يوحى ومن قال انّه ليس بنبى قال
يحتمل ان يكون فعله بامر نبىّ اخر وهذا يضعف لانّه ما علمنا كان فى
زمن موسى عليه السّلام نبىّ غيره الّا اخاه هرون وما نقل احد
من اهل الاخبار فى ذلك شيئا يعوّل عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانّما هو على الخصوص وفى قضايا معيّنة لم نحتج الى اثبات
نبوّة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انّما
الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق

بالجوارح

بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيه فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة منه مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس فى الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة البارى فى اى امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال فى معاصى الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذ لم يتب منها فلا يحبطها شئ والمشية فى العفو عنها الى الله تعالى وهذا قول

القاضي ابي بكر وجماعة من المتكلمين وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض
ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر
وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
واسقطت المروءة واوجبت الازدراء والخساسة فهذا ايضا مما
يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري
بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا
ماكان من قبل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم
المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه
قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم وحكى ابن خويز
منداذ وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج و
الاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية ان ذلك
ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة
في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يكن
الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به

من القربة

من القربة او الاباحة او الحظر ولا يصحّ ان يؤمر المرء بامتثال امر لعلّه معصية
لا سيّما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليّين
ويزيد هذا حجّة بان نقول من جوّز الصّغائر ومن نفاها عن نبيّنا
صلّى الله عليه وسلّم مجمعون انّه لا يقرّ على منكر من قول او فعل
وانّه متى ما راى شيئا فسكت عنه صلّى الله عليه وسلّم دلّ على جوازه
فكيف يكون هذا حاله فى حق غيره ثمّ يجوّز وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا
الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذا الحظر او النّدب
على الاقتداء بفعله ينافى الزّجر والنّهى عن فعل المكروه وايضا فقد
علم من دين الصّحابة قطعا الاقتدا بافعال النّبى صلّى الله عليه وسلّم
كيف توجّهت وفى كلّ فنّ كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتجّ غير واحد منهم
فى غير شيء ممّا بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم يفعله وقال صلّى الله عليه وسلّم هلّا اخبرتيها انّى اقبّل
وانا صائم وقالت عائشة محتجّة كنت افعله انا ورسول الله
صلّى الله عليه وسلّم وغضب عليه السّلام على الّذى اخبر بمثل هذا
عنه فقال يحلّ الله لرسوله ما يشاء وقال صلّى الله عليه وسلّم
انّى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار فى هذا اعظم من ان
يحيط بعلمها الكتّاب يعلم من مجموعها على القطع اتّباعهم افعاله واقتداؤهم

بها ولو جوّز واعليه المخالفة في شيء من هذا لما اتّسق هذا ولنقل
عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر صلى الله عليه وسلم على الآخر
قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس
فيها قدح بل هي ماذون فيها وابدانهم كابدان غيرهم مسلّطة عليها
الا انهم بما خصّوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار
المعرفة واصطفوا به من تعلّق الهم بالله والدار الآخرة لا ياخذون
من المباحات الا الضرورات مما يتقوّون به على سلوك طريقهم
وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق
طاعة وصار قربة كما بيّنّا منه اوّل الكتاب طرفا في خصال نبيّنا
صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبيّنا صلى الله
عليه وسلم على سائر انبيائه عليهم السلام ان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ووسم المعصية فصل وقد
اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوّة فمنعها قوم وجوّزها آخرون
والصحيح ان شاء الله تنزيههم عن كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب
الريب فكيف والمسئلة تصوّرها كالممتنع فانّ المعاصي والنواهي انما
تكون بعد تقرّر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبيّنا صلى الله
عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متّبعا لشرع قبله ام لا فقال
جماعة لم يكن متّبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية

انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع و حجتهم انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة و لاحتجوا به عليه ولم يوثر من ذلك شيء جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدها طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من كان قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة فالاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم تثبت عموم دعوة عيسى

بل الصحيح انه لم تكن دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فيحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يختلفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المواخذه به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما

الاول

الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال
في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى
القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب
التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام
المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل
وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة
علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم انى لانسى او انسى
لاسن بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص و
اغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر

على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم
وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ
ولا بيان الاحكام من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك لما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال
بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله وليس فى هذا شئ يحط من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
فى حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة
واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث مذاهب
نذكرها بعد ذا ان شاء الله تعالى فصل فى الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا فى الفصول
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع واحلناه
فى الاخبار جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال
الدينية على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن
نبسط القول فيه والصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه صلى الله
عليه وسلم فى الصلوة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين

فى السلام

فى السّلام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود انّ النّبى صلّى الله
عليه وسلّم صلّى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنيّة على السّهو فى
الفعل الذى قرّرناه وحكمة الله فيه ليستنّ به اذ البلاغ بالفعل اجلى
منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه ان لا يقرّ على هذا السّهو بل
يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدّمناه وانّ النّسيان
والسّهو فى الفعل فى حقّه صلّى الله عليه وسلّم غير مضادّ للمعجزة
ولا قادح فى التصديق وقد قال صلّى الله عليه وسلّم انّما انا بشر انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكّرونى وقال صلّى الله عليه وسلّم رحم الله
فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا اية كنت اسقطتهنّ ويروى كنت انسيتهنّ
وقال صلّى الله عليه وسلّم انّى لا انسى او انسّى لاسنّ قيل هذا اللفظ
شكّ من الرّاوى وقد روى انّى لا انسى ولكن انسّى لاسنّ و
ذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انّه ليس بشكّ وان معناه التقسيم
اى انسا انا او ينسينى الله عزّ وجلّ قال القاضى ابو الوليد الباجى
يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى فى اليقظة وانسّى فى النّوم او
انسى على سبيل عادة البشر من الذّهول عن الشئ والسّهو او
انسّى مع اقبالى عليه وتفرّغى له فاضاف احد النّسيانين الى نفسه
اذ كان له بعض السّبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطرّ
وذهبت طائفة من اصحاب المعانى والكلام على الحديث الى انّ
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يسهو فى الصّلوة ولا ينسى

لانّ النّسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
منزّه عنها والسّهو شغل فكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يسهو
فى صلوته ويشغله عن حركات الصّلوة ما فى الصّلوة شغلا بها لا غفلة
عنها واحتجّ بقوله صلّى الله عليه وسلّم فى الرّواية الاخرى انّى
لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كلّه عنه صلّى الله عليه وسلّم
وقالوا انّ سهوه صلّى الله عليه وسلّم كان عمدا وقصدا ليسنّ
وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانّه كيف
يكون متعمّدا ساهيا فى حال ولا حجّة لهم فى قولهم انّه امر بتعمّد
صورة النّسيان ليسنّ لقوله انّى لا انسى او انسّى وقد اثبت احد
الوصفين ونفى مناقضة التعمّد والقصد وقال صلّى الله عليه
وسلّم انّما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم
من المحقّقين من ائمّتنا وهو ابو المظفّر الاسفرائنى ولم يرتضه غيره
منهم ولا ارتضيه ولا حجّة لهاتين الطّائفتين فى قوله صلّى الله
عليه وسلّم انّى لا انسى ولكن انسّى اذ ليس فيه نفى حكم النّسيان
بالجملة وانّما فيه نفى لفظه وكراهة لقبه كقوله صلّى الله عليه وسلّم
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت كذا ولكنه نسّى او نفى الغفلة وقلّة
الاهتمام بامر الصّلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها كما ترك الصّلوة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرّز من العدوّ عنها فشغل بطاعة
عن طاعة وقيل انّ الّذى ترك يوم الخندق اربع صلوات الظّهر

والعصر

والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الجواز تأخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلوة يوم الوادي وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه و عينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر ولو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا صلى الله عليه وسلم وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا صلى الله عليه وسلم وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم

وليس في قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا
من فعل القلب • وقد قال صلى الله عليه وسلم • ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق
النوم لما قال صلى الله عليه وسلم • لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب
انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم • التغليس بالصبح ومراعاة اول
الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة •
فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته • فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت
وقد قال صلى الله عليه وسلم • انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال صلى الله عليه وسلم • لقد ذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها
فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان
يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ من القران اى ان الغفلة في
هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما
كان من غفلة وسهوة من قبله تذكرها يصلح ان يقال فيه انسى وقد
قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف
الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه •
واسقاطه صلى الله عليه وسلم • لما اسقط من هذه الايات •
جائز عليه بعد بلاغ ما امر بلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته اومن قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب

وترك

وترك استنكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما
ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام
نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من اجاز
عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به اعلم ان المجوزين للصغائر على
الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
واحتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا
ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم
فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالات على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها
نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله لنبينا صلى الله
عليه وسلم ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وقوله تعالى
﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ
وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ وقوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾
وقوله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله
تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ الاية وما قص من قصص غيره من
الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ وقوله

تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا
انفسنا الاية وقوله تعالى عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله تعالى وظن داود انما فتناه
فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله تعالى و
لقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله تعالى
عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما
اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته صلى الله عليه
وسلم وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية
وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال تعالى عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين وقوله تعالى عن موسى تبت اليك وقوله تعالى ولقد
فتنا سليمن الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد
اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه الله تعالى انه

مغفور له

مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر • وقيل المراد بذلك امته صلى الله عليه وسلم وقيل
المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبرى واختاره
القشيرى • وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن عطاء بمثله والذى قبله
يتاول قوله تعالى وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ قال
مكى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم • ههنا هى مخاطبة لامته
وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية ومال المؤمن فى الاية الاخرى بعدها
قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو
كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما قوله وَوَضَعْنَا
عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ فقيل ما سلف من ذنبك قبل
النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه
حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لا ثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندى • وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى • وقيل حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكى وقيل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا ذلك لك حكا معناه القشيرى • وقيل معناه خففنا

عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اى
كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبى
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله
وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له
بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ
لَهُمْ فامر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى
فيعده معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم
معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا فى امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما
لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله تعالى فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ
فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال
النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم يجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال
ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الداودى روى
انها تكرمة قال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك

وحكى

وحكي السمرقندي انّ معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر مَاكَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَكُونَ لَهُ اَسْرٰى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خصّ به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا النبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنائم ولم تحلّ لنبيّ قبلي فان قيل فما معنى قوله تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرّد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدوّ ثم قال تعالى لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدّى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خيّر في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه

قال جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان
نقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة
ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف
الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين
لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية
لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه
وراى من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته واباده عدوه
وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه
اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله
لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان
يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من
نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي
بكر بن العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا
فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم
بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد
من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان

الاسرى

لانرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله
عليهم لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
باظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من قبل
ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما
قوله تعالى عَبَسَ وَتَوَلّٰى الايات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه
وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين و
توهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وَمَا
عَلَيْكَ اَلَّا يَزَّكّٰى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو تمام واما قصة ادم عليه
السلام وقوله تعالى فَاَكَلَا مِنْهَا بعد قوله تعالى وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وقوله تعالى اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا
الشَّجَرَةِ وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وَعَصٰى اٰدَمُ رَبَّهُ
فَغَوٰى اى جهل وقيل اخطاء فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله
تعالى وَلَقَدْ عَهِدْنَا اِلٰى اٰدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا قال ابن زيد
نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله تعالى اِنَّ هٰذَا

عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ الاية وقيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك اذا كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا وقيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وَعَصَى آدَمُ وقال فتاب عليه وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى الجواب عنه

دعن

وعن اشباههم مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد
مضى الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن
قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم
قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه
لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
تعالى أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت
مِنَ الظَّالِمِينَ فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه اولضعفه عما حمله
اولدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يواخذ وقال
الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم وحواء رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا اذ كانا السبب في وضعهما
غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض
واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها
الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي
نص الله عليه قوله تعالى وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ الى قوله وحسن مآب
وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع

وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود مازاد داود على ان
قال للرجل انزل لى عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى
ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر
وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم • واما قصة يوسف واخوته فليس
على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فلزم الكلام على افعالهم
وذكر الاسباط وعدتهم فى القران عند ذكر الانبياء قال المفسرون
يريد من نبى من ابناء الاسباط • وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف
ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا
قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم
واما قول الله تعالى فيه وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ
فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست
سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى اذا هم عبدى بسيئة
فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا • واما على مذهب المحققين
من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما
ما لم يوطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا

ل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان
محتاج غير على ظاهر الاية صح

هو

هو الحق فيكون ان شاء الله همّ يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرّئ نفسى الاية اى ما ابرّئها عن هذا الهمة او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى من قبل وبرّئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة انّ يوسف لم يهمّ وانّ الكلام فيه تقديم وتاخير اى ولقد همّت به ولولا ان رأى برهان ربّه لهمّ بها وقال الله تبارك وتعالى عن المرأة وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وقال الله تعالى كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ وقال تعالى وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ الاية قيل فى ربّى الله وقيل الملك وقيل همّ بها اى بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اى غمّها امتناعه عنها وقيل همّ بها نظر اليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل هذا كلّه كان قبل نبوّته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتّى نبّأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوّة فشغلت هيبته كلّ من رآه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذى وكزه فقد نصّ الله تعالى انّه من عدوّه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كلّه انّه قبل نبوّة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمّد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن جريج قال ذلك من اجل انّه لا ينبغى لنبىّ ان يقتل حتّى يؤمر وقال النقّاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانّما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل انّ هذا كان قبل النبوّة وهو مقتضى التلاوة وقوله

تعالى فى قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى
هذه القصة وماجرى له مع فرعون وقيل القاؤه فى التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قال ابن جبير و
مجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى
الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى
الى مايكره وكذلك مارورى فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقاءها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدى و
فعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى
دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة ادمى ولا يمكن
انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب
عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما
جاءه بعد واعلمه الله تعالى انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندى وهو
تاويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى وقد تاوله قديما ابن
عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقاء عين حجته وهو كلام مستعمل
فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها
اهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ فمعناه ابتلينا
وابتلاؤه ما حكى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة
على مائة امراة اوتسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل الله

فقال

فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل
مات والقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل
لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم
وقيل ووخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمن
في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث
الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع
صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل
سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون الا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله فضيلة وخاصة
يختص بها كاختصاص غيره من انبيائه ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك
دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى و
اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة

نوح عليه السلام فظاهره العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ
لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ماطوى عنه
من ذلك لا انه شك فى وعد الله فبين الله له انه ليس من اهله الذين وعده
نجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا
ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من
اقدامه على ربه تعالى لسؤاله مالم يؤذن فى السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه • وقيل فى الاية غير هذا وكل هذا لا يقضى على
نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له
فيه ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس
فى هذا الحديث ما يقتضى ان هذا النبى اتى معصية بل فعل ماراه •
مصلحة وصوابا بقتل من يوذى جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله
تعالى له الا ترى ان هذا النبى كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما
يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفى كما قال تعالى
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته
هو فى خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع بمضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يات فى كل هذا امرا نهى عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فصل فان قلت

فاذا

فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وَعَصَىٰ آدَمُ
رَبَّهُ فَغَوَىٰ وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم و
اشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله
واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل
جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم
بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا
بسببها اوحذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل و
السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي
ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء
الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اخره واذناب الناس رذالهم
فكان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتعريفهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم
الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون
بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات

الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى علىّ احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة
كيف ما كانت من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله تعالى غَوَى
اى جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطا،
ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد ووخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اُذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ فَاَنْسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ قيل انسى يوسف
ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبى
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن
حبسك فقال يا رب انسى قلبى كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ
الانبياء عليهم السلام بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن
سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء الادب
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون
بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم
ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا
لا نثبت لك المؤاخذة فى هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم
يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا للمنماة مرتبتهم كما قال تعالى ثُمَّ اجْتَبَاهُ

رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ • وقال تعالى لداود فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ الاية
وقال تعالى بعد قول موسى تبت اليك اِنِّيْ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ •
وقال تعالى بعد فتنة سليمن وانابته فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ الى وحسن مأب
قال بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فلينته غيرهم
من البشر منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا المنصب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين وقال
ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له •
ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا فيقال لهم
فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هى •
مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء
وتوبتهم منها وهى مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن
المؤاخذة بافعال السهو والتاويل • وقد قيل ان كثرة استغفار
النبى صلى الله عليه وسلم • وتوبته وغيره من الانبياء على وجه
ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه
كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة بما تقدم

وتاخر فلا اكون عبدا شكورا وقال صلى الله عليه وسلم انى
اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحرث بن اسد خوف الملئكة والانبياء
خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم
وتستن بهم اممهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان فى التوبة والاستغفار والاوبة معنى
اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال
الله تعالى انَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فاحداث الانبياء
والرسل الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة فى كل حين استدعاء
لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه لَقَدْ تَابَ اللهُ
عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ الاية وقال تعالى فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ اِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا فصل وقد استبان لك ايها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم من الجهل بالله وصفاته او كونه
على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشئ مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه تعالى من الوحى
قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله تعالى
وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان

عليه

عليه فيما شرعه للامة وعصمته فى كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح
فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول
حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبى او
يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامها لا يأمن ان يعتقد فى بعضها
خلاف ما هى عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدرى ويسقط فى هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به
واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط النبى
صلى الله عليه وسلم على الرجلين الذين راياه ليلا وهو معتكف فى
المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من
ابن ادم مجرى الدم وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيئا فتهلكا هذه
رحمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه فى هذه الفصول ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التى ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر اليها فى اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل من
الفقه لا تنعد ويتخلص بها من تشغيب مختلفى الفقهاء فى عدة منها
وهى الحكم فى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وهى باب
عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبى
صلى الله عليه وسلم فى اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو
فيه وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا وبحسب اختلافهم فى وقوع

الصّغائر وقع خلاف فى امتثال الفعل بسط بيانه فى كتب ذلك العلم
فلا نطوّل به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتى فيمن اضاف الى
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمّم فى الفتيا
فى ذلك ومن اين يدرى هل ما قاله فيه نقص او مدح فامّا ان يجترئ
على سفك دم امرء مسلم حرام او يسقط حقّا ويضيع حرمة النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم وسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمّة العلماء والمحقّقين فى عصمة الملئكة فصل فى القول فى
عصمة الملئكة اجمع المسلمون انّ الملئكة مؤمنون فضلاء واتّفق
ائمّة المسلمين انّ حكم المرسلين منهم حكم النّبيّين سواء فى العصمة ممّا
ذكرنا عصمتهم منه وانّهم فى حقوق الانبياء والتّبليغ اليهم كالانبياء
مع الامم واختلفوا فى غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة
جميعهم عن المعاصى واحتجّوا بقوله تعالى لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا اَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وبقوله تعالى وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ
وَاِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَاِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ وبقوله تعالى وَمَنْ عِنْدَهُ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ وبقوله تعالى اِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ الاية وقوله كِرَامٍ بَرَرَةٍ وَلَا يَمَسُّهُ
اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ونحوه من السّمعيّات وذهبت طائفة الى انّ هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقرّبين واحتجّوا باشياء ذكرها اهل الاخبار

والتفاسير

والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبيّن الوجه فيها ان شاء الله
تعالى والصّواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرّفيع عن جميع ما يحطّ
من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار
الى ان لاحاجة بالفقيه الى الكلام فى عصمتهم وانا اقول انّ للكلام فى ذلك
ما للكلام فى عصمة الانبياء من الفوائد التى ذكرناها سوى فائدة الكلام
فى الاقوال والافعال فهى ساقطة ههنا فمّا احتجّ به من لم يوجب عصمة
جميعهم قصّة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة
المفسّرين وما روى عن علىّ وابن عبّاس فى خبرهما وابتلائهما فاعلم
اكرمك الله انّ هذه الاخبار لم يرو منها شئ لاسقيم ولاصحيح عن
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والّذى
منه فى القران اختلف المفسّرون فى معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السّلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما
نصّه الله تعالى اوّل الايات من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصّة على شنع عظيمة وها نحن نحيّز فى ذلك ما يكشف
غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اوّلا فى هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيّان وهل هما المراد بالملكين ام لا
وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما فى قوله تعالى وما انزل وما
يعلّمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسّرين انّ الله تعالى امتحن
النّاس بالملكين لتعليم السّحر وتبيينه وانّ عمله كفر فمن تعلّمه كفر

ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امر به ليس بمعصية وهى لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابى عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما ماذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يُبيّنا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصى والكفر المذكور فى تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكى وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذى افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكى هما جبرئل وميكائل ادعى اليهود عليهما المجىء به كما ادعوا على سليمن فاكذبهما الله فى ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بنى اسرائل فمسخهما الله

تعالى

تعالى حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير
ابى محمد مكي حسن ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكذا بررة ولا يعصون الله
ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملئكة ورئيسا فيهم
ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملئكة بقوله تعالى
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد
وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين
افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله
تعالى مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ومما رووه في الاخبار ان خلقا
من الملئكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا
فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى الا ابليس في
اخبار لا اصل لها يردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها الباب الثاني
فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل من البشر
وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات
والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه
واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون

ومنها يخرجون * وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله
عليه وسلم * واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر و
سقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم * ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى
وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء
عليهم السلام ماهو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من
عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا صلى الله عليه
وسلم * ربه تعالى يدا بن قمية يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى
ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة و
لئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ماهو اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما
يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون
في محنهم تسلية لاممهم ووفود لاجورهم عند ربهم تماما على الذي

احسن

احسن الهم • قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر
ومعاناة بنى ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك
معصومة منه متعلقة بالملاء الاعلى والملئكة لاخذها عنهم وتلقيها •
الوحى منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم • ان عينىّ تنامان
ولاينام قلبى • وقال صلى الله عليه وسلم • انى لست كهيئتكم انى ابيت
يطعمنى ربى ويسقينى • وقال صلى الله عليه وسلم • لست انسى
ولكن انسى فاخبر صلى الله عليه وسلم • ان سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التى تحل بظاهره من ضعف و
جوع وسهر ونوم لا يحل منها شىء باطنه بخلاف غيره من البشر فى
حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله
عليه وسلم • فى نومه حاضر القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض
الاثار انه كان محروسا من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرنا
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
جملته وهو صلى الله عليه وسلم • قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه
بخلافهم بقوله صلى الله عليه وسلم • لست كهيئتكم انى ابيت
يطعمنى ربى ويسقينى وكذلك قول انه فى هذه الاحوال كلها من
وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه مايخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه مالا يليق به كما يعترى غيره من البشر مما ناخذ

بعد فی بیانه فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحیحة انه صلی الله
علیه وسلم سحر کما حدثنا الشیخ ابو محمد العتابی بقراءتی علیه قال
حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علی بن خلف ثنا محمد بن احمد
ثنا محمد بن یوسف ثنا البخاری ثنا عبید بن اسمعیل ثنا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابیه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلی الله
علیه وسلم حتی انه لیخیل الیه انه فعل الشیء وما فعله وفی روایة
اخری حتی انه کان یخیل الیه انه کان یاتی النساء ولا یاتیهن الحدیث
واذا کان هذا من التباس الامر علی المسحور فکیف حال النبی صلی الله
علیه وسلم فی ذلک وکیف جاز علیه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله
وایاک ان هذا الحدیث صحیح متفق علیه وقد طعنت فیه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبیسها علی امثالها الی التشکیک فی الشرع وقد نزه
الله تعالی الشرع والنبی صلی الله علیه وسلم عما یدخل فی امره لبسا
وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل یجوز علیه کانواع الامراض
مما لا ینکر ولا یقدح فی نبوته صلی الله علیه وسلم واما ما ورد انه کان
یخیل الیه انه فعل الشیء ولا یفعله فلیس فی هذا ما یدخل علیه داخلة فی شیء
من تبلیغه او شریعته او یقدح فی صدقه لقیام الدلیل والاجماع علی
عصمته من هذا وانما هذا فیما یجوز طروءه علیه فی امر دنیاه التی یتعب بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فیها عرضة للافات کسائر البشر فغیر بعید ان یخیل
الیه من امورها ما لا حقیقة له ثم تنجلی عنه کما کان وایضا فقد فسر هذا

الفصل

الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
وقد قال سفين وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منه
انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد
واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة على هذا الحديث
مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه
منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي
الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود
بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن
الحكم وذكر عبد الرزاق عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه
ملكان فقعد احد عند راسه والاخر عند رجليه قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى
انكر بصره وروى محمد بن سعيد عن ابن عباس مرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه

ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان
السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه واضعف جسمه
وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اى يظهر
له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته
اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض ولعله
لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول
عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب
من اختل بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه
اوشاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره و
ضعف نظره لا لشيء طرى عليه في مميزه واذا كان هذا لم يكن فيما
ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض
به انسا فصل هذه حاله في جسمه صلى الله عليه وسلم فاما احواله
في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول و
الفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه
ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما
حدثنا ابو بحر سفين بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
ثنا ابو العباس احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد
بن عمرويه ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومى

ويتابى

وعبّاس العنبري واحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمّد حدّثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وهم يابرون النخل فقال ماتصنعون قالوا كنّا نصنعه قال لعلّكم لولم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انّما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانّما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انّما ظننت ظنّا فلا تؤاخذوني بالظنّ وفي حديث ابن عبّاس في قصّة الخرص فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّما انا بشر فما حدّثتكم عن الله فهو حقّ وما قلت فيه من قبل نفسي فانّما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قرّرناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدّنيا وظنّه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنّة سنّها وكما حكى ابن اسحق انّه صلّى الله عليه وسلّم لمّا نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدّمه ام هو الرّاي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرّاي والحرب والمكيدة قال فانّه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثمّ نغوّر ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرّاي وفعل ما قال وقد قال له الله وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ واراد مصالحة بعض عدوّه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلمّا اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدّنيا الّتي

لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه ما ذكرنا
اذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا حطة وانما هى امور اعتيادية يعرفها
من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبى صلى الله عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملان الجوانح بعلوم الشريعة مقيد
البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض
الامور ويجوز فى النادر وفيما سبيله التدقيق فى حراسة الدنيا
واستثمار لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه
صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز فى البشر قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا
الكتاب فصل واما ما يعتقد فى امور احكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فهذه
السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الى
ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع
فمن قضيت له من حق اخيه بشى فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة
من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا
محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفى رواية الزهرى عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض

فاحسب

فاحسب انه صادق فاقضى له وتجرى احكامه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله
فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سائر عباده ومخبات ضمائر
امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء
به فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص
بعلمه ويوثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد فى شريعته
لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو فى تلك القضية لحكمه هو اذا فى ذلك
بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا
تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التى يستوى
فى ذلك هو فى غيره من البشر ليتم اقتداء امته به فى تعيين قضاياه وتنزيل
احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان
بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان
حكمه على الظاهر اجلى فى البيان واوضح فى وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كل حكام امته ويستوثق بما يوثر
عنه وينضبط قانون شريعته وطى ذلك عنه من علم الغيب الذى استاثر
به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه

منه بما شاء، ويستاثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة
من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال
غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى اي وجه من عمد وسهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما
يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لاسيما القصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في
تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم لاحملنك على
ابن الناقة وقوله صلى الله عليه وسلم للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان
بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة
الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال
صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فكيف
ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد
وَاِذْ تَقُولُ لِلَّذِي اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاَنْعَمْتَ عَلَيْهِ اَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

الاية

الاية ۝ فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى صلى الله عليه
وسلم ۝ عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا ما حكاه اهل
التفسير عن على بن الحسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله
عليه وسلم ۝ ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال
له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله ۝
به من انها سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق
زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهرى قال نزل جبرئيل على
النبى صلى الله عليه وسلم ۝ يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت
جحش فلذلك اخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله بعد
هذا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا اى لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذى
اخفاه صلى الله عليه وسلم ۝ مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى فى
القصة مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ الاية ۝
فدل انه لم يكن عليه حرج فى الامر قال الطبرى ما كان الله تعالى
ليؤثم نبيه صلى الله عليه وسلم ۝ فيما احل مثل فعله من الرسل
قال الله تعالى سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ اى من النبيين فيما
احل لهم ولو كان على ما روى فى حديث قتادة من وقوعها من قلب
النبى صلى الله عليه وسلم ۝ عندما اعجبته ومحبته طلاق زيدها

لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مدّ عينيه لما نهى عنه من زهرة

الحيوة الدّنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الّذى لا يرضاه

ولا يتّسم به الاتقياء فكيف سيّد الانبياء قال القشيرى وهذا

اقدام عظيم من قائله وقلّة معرفة بحق النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم

وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهى بنت عمّته ولم يزل يراها

منذ ولدت ولا كان النّساء يحتجبن منه صلّى الله عليه وسلّم وهو

زوّجها لزيد وانّما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النّبىّ صلّى الله

عليه وسلّم ايّاها لازالة حرمة التّبنّى وابطال سنّته كما قال تعالى

مَاكَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وقال تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

حَرَجٌ فِى اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ ونحوه لابن فورك وقال ابو اللّيث

السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم

لزيد بامساكها فهو انّ الله تعالى اعلم نبيّه صلّى الله عليه وسلّم انّها

زوجته فنهاه النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما

الفة واخفى فى نفسه ما اعلمه الله تعالى به فلمّا طلّقها زيد خشى قول

النّاس بتزوّج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك

لامّته كما قال تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ

وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشّهوة وردّا للنّفس عن هواها

وهذا اذا جوّزنا عليه انّه راها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة

عليه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفوّ

عنها

عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التى فى القصة والتعويل والاولى على ما ذكرناه عن علىّ بن الحسين
وحكاه السمرقندى وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضى
القشيرى وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند
المحققين من اهل التفسير قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه
عن استعمال النفاق فى ذلك واظهار خلاف ما فى نفسه وقد نزهه الله
عن ذلك بقوله تعالى مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ قال
ومن ظن ذلك بالنبى فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف
وانما معناه الاستحياء اى تستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة
ابنه وان خشيته صلى الله عليه وسلم كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن
الالتفات اليهم فيما احل لهم كما عتبه على مراعات رضى ازواجه
فى سورة التحريم بقوله لِمَ تُحَرِّمُ مَا اَحَلَّ اللهُ لَكَ الاية كذلك قوله ههنا
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَيهُ وقد روى عن الحسن وعائشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها
من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت عصمته صلى الله
عليه وسلم فى اقواله فى جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب

ا

ولكن ما معنى الحديث فى وصيّته صلى الله عليه وسلم • حدثنا به القاضى
الشهيد ابو على رحمه الله • ثنا القاضى ابو الوليد • ثنا ابو ذر
ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا • ثنا محمد بن يوسف • ثنا
محمد بن اسمعيل • ثنا على بن عبد الله • ثنا عبد الرزاق • ثنا معمر
عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفى البيت رجال فقال النبى
صلى الله عليه وسلم • هلمّوا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال
بعضهم انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم • قد غلبه الوجع الحديث
وفى رواية ايتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى ابدا فتنازعوا •
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعونى فان الذى انا فيه خير وفى بعض
طرقه فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم يهجر وفى رواية هجر •
وتروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبى صلى الله عليه قد
اشتدّ به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا
عنى وفى رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول
قرّبوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم • كتابا ومنهم من يقول
ما قال عمر قال ائمتنا فى هذا الحديث النبى صلى الله عليه وسلم •
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع
وغشى ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء
ذلك ما يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد فى شريعته من هذيان او •

اختلال

اختلال فى الكلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث
هجرا ذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا الخش و
الهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال
لا يكتب وهكذا روايتنا فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة فى
حديث الزهرى المتقدم وفى حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة
وكذا ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه
عن مسلم فى حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه
هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر وان يحمل قول القائل
هجر واهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذى اختلف
فيه عليه والامر الذى هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه
واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما
حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهى رواية ابى اسحق
المستملى فى الصحيح فى جبير ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه
وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث

وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوه بالكتاب
فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها
من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم
لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما
راه من صواب راى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب
وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون
فى الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم
تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم و
قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا
كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب
فى الخلوة وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير
ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا فى هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه
بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل

فى مثل

فى مثل هذه القصة بقول بقول العباس لعلى انطلق بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة على هذا وقوله والله
لا افعل الحديث واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم دعونى فالذى
انا فيه خير اى الذى انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله
وان تدعونى مما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابة امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى حدثناه
الفقيه ابو محمد الخشنى بقراءتى عليه ثنا ابو على الطبرى ثنا
عبد الغافر الفارسى ثنا احمد الجلودى ثنا ابراهيم بن سفين
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابى سعيد عن
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر و
انى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته
او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية
فايما احد دعوت عليه دعوة وفى رواية ليس لها باهل وفى رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة
وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من
لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم
شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اى عندك يا رب

فى باطن امره فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التى
ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم بجلده او ادابه وسبته او لعنه بما
اقتضاه عند حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على
امته ورافة ورحمته للمؤمنين التى وصفه الله تعالى بها وحذره
ان تتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى
قوله صلى الله عليه وسلم ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله
الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم اغضب كما
يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا
ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز
عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج
مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله تعالى
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد فى غير موطن
على غير العقد والقصد بل بما جرى به عادة العرب وليس المراد بها
الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها
من دعواته وقد ورد فى صفته صلى الله عليه وسلم فى غير حديث انه
صلى الله عليه وسلم حليم لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا
فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة

امثالها

امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال فى الحديث ان يجعل ذلك المقول له
زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله عليه و
سلم وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا
منه لربه تعالى لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة
لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له فى الدنيا سببا العفو و
الغفران كما جاء فى الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو
له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبى صلى الله عليه وسلم
حين تخاصم مع الانصارى فى شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الانصارى ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه
فى هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبى صلى الله
عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخارى على هذا الحديث باب
اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر فى اخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه
وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا فى قضيته وفيه الاقتداء

به صلّى الله عليه وسلّم في كلّ ما فعله في حال غضبه ورضاه وانّه وان
نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانّه في حكمه في حال الغضب والرّضا
سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا
انّما كان لله تعالى لا لنفسه وكما جاء في الحديث الصّحيح وكذلك الحديث
في اقادته عكّاشة من نفسه لم يكن لتعمّد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث
نفسه انّ عكاشة قال له وضربتني فلا ادري بالقضيب فلا ادري اعمدا
ام اردت ضرب النّاقة فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اعيذك يا
عكاشة ان يتعمّدك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكذلك في حديثه
الآخر مع الاعرابيّ حين طلب صلّى الله عليه وسلّم الاقتصاص منه
فقال الاعرابيّ قد عفوت عنك وكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
قد ضربه بالسّوط لتعلّقه بزمام ناقته مرّة بعد اخرى والنّبيّ صلّى الله
عليه وسلّم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد
ثلاث مرّات وهذا منه صلّى الله عليه وسلّم لمن لم يقف عند
نهيه صواب وموضع ادب لكنّه صلّى الله عليه وسلّم اشفق اذ كان
حقّ نفسه من الامر حتّى نهى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم وانا متخلّق فقال ورس ورس حطّ حطّ وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف
لي عن بطنه انّما ضربه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمنكر رآه به فيه ولعلّه
لم يرد بضربه بالقضيب الّا تنبيهه فلمّا كان منه ايجاع لم يقصده طلب

التحمل منه على ما قدمناه فصل واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضه ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بلى ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين

من امرهم مؤالفة لغيرهم ودعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء
الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش و
تعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث في الصحيح لولا حدثان
قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم
يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو
من قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت
ماسقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر
للجاهل ويقول صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
مايتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شئ
من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه
وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن
الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ماكان لنبي ان يكون له خائنة
الاعين فان قلت فامعنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة
في الداخل عليها بئس ابن العشيرة هو فلما دخل الان له القول و
ضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه

الناس

الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ماقال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا لمثله وتطيبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله تعالى العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لاسيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود • فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم • لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة • ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم • اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم • قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل

حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء
اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وقال تعالى وَاِنْ اَسَاْتُمْ
فَلَهَا فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه
وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه
ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى
الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطهم لا ينفعهم بعد بيان
النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال صلى الله
عليه وسلم اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب
الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم
على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا والوجه الثالث ان معنى قوله
اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم خطيبا مبينا
ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما
جرى على اخوته في ذلك وقوله اِنَّكُمْ لَسَارِقُوْنَ ولم يسرقوا فاعلم

اكرمك الله

اكرمك الله ان الاية تدل ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى
كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ اخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ
الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان
اعلم اخاه باني اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من رفقه و
رغبته وعلى يقين من عقبى الجنول به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب
لحل شبهة ولعل قائل ان حسن له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا
ولا يلزم ان تقول الانبياء ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه
ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم الصلوة والسلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم
وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته حتى عباده كما قال تعالى لهم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
وَلِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ
وَنَبْلُوَ اَخْبَارَكُمْ ۝ فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم

ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا و
الشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم و
موعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر
واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا
حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت
يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ
الايات الثلاث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمومن في
نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في
الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به
يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان

كان بلاوه

كان بلاؤه اشد كي يختبر فضله ويستوجب الثواب كما روى عن لقمان
انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء و
حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوى
وهما يضحكان وكان لهم يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة
له عجوز لبكائه وبينهما اجدار ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف
فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر
مناديا ينادى على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب
وعوقب يوسف بالمحنة التى قص الله علينا وروى عن الليث انه
سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه فى ظلمه
واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه
ومحنة سليمن لما ذكرناه من نيته فى كون الحق فى جنبة اصهاره
اوللعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع
بالنبى صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت
النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا فقال اجل انى اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك لذلك وفى حديث ابى سعيد

ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق
اضع يدي عليك من شدة الحمى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا
معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله
وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون
بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم
البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله
السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ان المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة
وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية عائشة ما من
مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال
صلى الله عليه وسلم في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة تشاكها الا
كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى
الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله
في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عنهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس كذلك خلاف موت الفجاءة
واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة

والسهولة

والسهولة • وقد قال صلى الله عليه وسلم • مثل المؤمن مثل خامة
الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا • وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها
الريح تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله معناه ان المؤمن •
مرزاء مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى
منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاقة خامة الزرع وانقيادها
للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن
المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته
وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفته
ماله فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه
كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد
كانجعاف الارزة • وكما قال تعالى فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فَكُلًّا أَخَذْنَا فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ الاية فجاء جميعهم بالموت على حال

بذنبه

عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السّلف
موت الفجاءة ومنه فى حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة
الاسف اى الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض
نذير الممات و بقدر شدّتها شدّة الخوف من نزول الموت فيستعدّ
من اصابته وعلم من تعاهدها للقادرية تعالى ويعرض عن دار الدّنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه متعلّقا بالمعاد فيتنصّل من كلّ ما يخشى
تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدّى الحقوق الى اهلها و
ينظر فيما يحتاج اليه من وصيّة من يخلفه او امر يعهده فهذا نبيّنا صلى الله
عليه وسلّم المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تاخّر قد طلب التّنصّل
فى مرضه ممّن كان له عليه مال او حقّ فى بدن واقاد من نفسه وماله
وامكن من القصاص منه على ما ورد فى حديث الفضل وحديث الوفاة
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته بالانصار عيبته ودعا الى
كتب كتاب لئلا تضلّ امّته بعده امّا فى النصّ على الخلافة او الله
اعلم بمراده ثمّ راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد
الله المؤمنين واوليائه المتّقين وهذا كلّه يحرمه غالبا الكفّار لاملاء الله
لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى
مَا يَنظُرُونَ اِلَّا صَيحَةً وَّاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
تَوْصِيَةً وَّلَا اِلَى اَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ولذلك قال صلى الله عليه وسلّم
فى رجل مات فجاءة سبحان الله كانّه على غضب المحروم من حرم

وصيّته

وصيّته وقال صلى الله عليه وسلم • موت الفجأة راحة للمؤمن و
اخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لأنّ الموت يأتي المؤمن غالبا
وهو مستعدّ له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى
راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح
ومستراح منه وتاتي الكافر والفاجر منيّته على غير استعداد ولا
اهبة ولا مقدّمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردّها وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ • فكان الموت اشدّ شيء عليه
وفراق الدنيا اقطع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار
صلى الله عليه وسلم • من احبّ لقاء الله احبّ الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه القسم الرابع • في تصرّف وجوه الاحكام
فيمن تنقّصه او سبّه صلى الله عليه وسلم • قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد تقدّم من الكتاب والسنّة واجماع الامّة ما يجب
من الحقوق للنبيّ صلى الله عليه وسلم • وما يتعيّن له من برّ وتوقير
وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرّم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت
الامّة على قتل متنقّصه من المسلمين وسابّه قال الله تعالى اِنَّ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَاَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا مُهِينًا • وقال تعالى وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ
وقال تعالى وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلَا اَنْ تَنْكِحُوا اَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ اَبَدًا اِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمًا • وقال تعالى في تحريم

التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا
سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله تعالى
المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا
يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما
فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل
بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك
اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم
واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن
التكني بكنيته فقال صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه
وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما
دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة
دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن
ذريعة الى اذاه والازدراء فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه
عن هذا على مدة حيوته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس

في هذا

فى هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب
الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيم و
توقير وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك
لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من نداءه به بقوله تعالى لَا تَجْعَلُوا
دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا وانما كان المسلمون يدعونه
يا رسول الله يا نبى الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم فى
بعض الاحوال • وقد روى انس عنه صلى الله عليه وسلم • ما يدل
على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال صلى الله
عليه وسلم تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم • وروى ان
عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبى صلى الله عليه
وسلم • حكاه ابو جعفر الطبرى • وحكى محمد بن سعد انه نظر
الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول ليفعل الله بك يا محمد و
صنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه
الصلوة والسلام يسب بك والله لا تدعى محمدا مادمت حيا وسماه
عبد الرحمن واراد ان يمنع هذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما
لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم • اذن فى ذلك لعلى رضى الله

عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدى وكنيته
وقد فصلت الكلام فى هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول
فى بيان ما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله عليه
وسلم او عابه او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشئ على طريق السب له او الازراء
عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا
الكتاب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على
طريق الذم او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور او عيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه
او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا
كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل
العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى ابو الفضل المصنف وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق
رضى الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة

واصحابه

واصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا
هى ردّة وقد روى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله
عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه
او كذبه وقال سحنون فيمن سبّه ذلك ردّة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبيّنه
فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين
علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف
فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع
العلماء ان شاتم النبى صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه
كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن
الوليد مالك بن نويرة بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمن الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون
والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من
سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب وقال
ابن القاسم فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه
عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره وفى

المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا
ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب
لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي
صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من
دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا
استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله
عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته
هي صفة في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمن

صاحب

صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود
يقتل وقال فى رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول
يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله
العقرب فقال ابن ابى سليمن للذى ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد
فى قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل فى لفظ
صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزز لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن
عتاب فى عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبى بالقتل وافتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه
بحق النبى صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته
باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على
الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان شاعرا متفننا فى كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس بن طالب للمناظرة
فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب من الاستهزاء بالله تعالى
وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فاحضر له القاضى يحيى بن عمر
وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا

ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع و
كبّر الناس وجاء كلب فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
فى دم مسلم وقال القاضى ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبى
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ
لا يجوز ذلك عليه فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته
وقال حبيب بن الربيع القروى مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه
صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب
كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم
ولا متاخروهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد و
كذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او
السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه
او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك ويأتى ما يدل عليه فصل فى الحجة
فى ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم فمن القران لعنة
الله تعالى لموذيه فى الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف

فى قتل

فى قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل
فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ الاية • وقال فى قاتل المؤمن
مثل ذلك فمن لعنه فى الدنيا القتل قال الله تعالى مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا
وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا • وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى
الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ وَقَاتَلَهُمُ اللهُ
اى لعنهم الله وكانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفى اذى المؤمنين
مادون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله تعالى ونبيه
صلى الله عليه وسلم • اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فَلَا وَرَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد
فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال
تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ الى قوله
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل
وقال تعالى وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ثم قال حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ • وقال تعالى وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ
هُوَ أُذُنٌ ثم قال وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وقال
تعالى وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ الى قوله كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ • قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله عليه
وسلم • واما الاجماع فقد ذكرناه • واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو
عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابى ذر الهروى اجازة •

ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيّويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا
عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر
عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه
عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من سب نبيا من الانبياء فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله
من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة
دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير
الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل
وجاريتيه اللتين كانتا يغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر
ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة
ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه
قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معاشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم • من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله
الزبير وروي ايضا ان امراة كانت تسبه فقال صلى الله عليه وسلم
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها • وروي ان
رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم • فبعث عليا والزبير اليه
ليقتلاه • وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم • وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن
لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم • فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال
له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم • فقال
من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم • فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى
كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم • فيزجرها فلا تنزجر
فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم • وتشتمه فقتلها
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم • بذلك فاهدر دمها • وفي حديث ابي
برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه •
فغضب على رجل من المسلمين • وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من
الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر

وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا
الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه
او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل
قتل امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في
رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها
صلى الله عليه وسلم من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل المصنف كذا وقع في
هذه الحكاية ورواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي
اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا
الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشتهر بعلم ومن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير
السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن
سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلى الله

عليه

عليه وسلم قد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه
دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على
قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في
مثله يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ اِسْلَامِهِمْ
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه غير دينه وقد قال صلى الله
عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشرف منزلته على غيره
فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي
قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من
ذلك وقال صلى الله عليه وسلم قد اوذي موسى باكثر من هذا

فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان • فاعلم
وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم • كان اول الاسلام يستانف
على الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداديهم
ويقول صلى الله عليه وسلم • لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول صلى الله عليه وسلم • يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
صلى الله عليه وسلم • لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله
عليه وسلم • يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل
من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان •
صلى الله عليه وسلم يؤلفهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى
فقال تعالى وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ • وقال تعالى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ • وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام
وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه و
اشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في
جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم • على الظاهر واكثر تلك الكلمات

انما

انّما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نمّت
وينكرونها وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وكان صلّى الله
عليه وسلّم مع هذا يطمع فى فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم
فيصبر صلّى الله عليه وسلّم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من
الرّسل حتّى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرّا كما اظهر جهرا
ونفع الله تعالى بعد بكثير منهم وقام منهم للدّين وزراء واعوان وحماة
وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمّتنا رحمهم الله
عن هذا السّؤال وقال لعلّه لم يثبت عنده صلّى الله عليه وسلّم من
اقوالهم ما دفع وانّما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشّهادة
فى هذا الباب من صبىّ اوعبد اوامراة والدّماء لا تستباح الّا بعدلين
وعلى هذا يحمل امر اليهود فى السّلام وانّهم لوّوا به السنتهم ولم يبيّنوه
الا ترى كيف نبّهت عليه عائشة ولو كان صرّح بذلك لم تنفرد بعلمه
ولهذا نبّه النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم اصحابه على فعلهم وقلّة صدقهم
فى سلامهم وخيانتهم فى ذلك ليّا بالسنتهم وطعنا فى الدّين فقال
صلّى الله عليه وسلّم انّ اليهود اذا سلّم احدهم فانّما يقول السّام
عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداذيّين انّ النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انّه قامت
بيّنة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فانّ الامر كان سرّا وباطنا و
ظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذّمّة بالعهد والجوار

والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين و
صحابة سيد المرسلين وانصار الدين لحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من
صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وطعن العدو والظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ
الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله و
لهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال
صلى الله عليه وسلم اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
ابن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ
فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ
الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد

بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منهم الطعن
عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الرأي في امور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم يرد سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه
صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع
البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملالة وهذا
دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي
ابو الفضل المصنف قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه
وسلم سواء وقال القاضي محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض
ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل
العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى
في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة
على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما
ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله عليه
وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من عينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم

الرُّعْبَ وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرّب بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وكاشفهم بالسبّ فقال صلى الله عليه وسلم يا اخوة القردة والخنازير وحكّم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبّه او اذاه او كذّبه فانّ هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلّق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجذب الاعرابي بازاره حتى اثّر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه فرسه منه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمّته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبّه والازراء به وغمصه باي وجه كان من

ممكن

ممكن او محال فهنا وجه بيّن لا اشكال فيه الوجه الثانى لاحق به فى البيان
والجلاء فهو ان يكون القائل لما قال فى جهته صلى الله عليه وسلم
غير قاصد للسب والازدراء ولا معتقد له ولكنه تكلم فى جهته صلى الله
عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز
عليه او نفى ما يجب له مما هو فى حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل
ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة فى تبليغ الرسالة او فى حكم
بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده
او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر
الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتى بسفه من القول وقبيح من الكلام
ونوع من السب فى جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد
سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة
مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور فى كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه
الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشىء مما ذكرناه اذا كان عقله فى فطرته سليما الا من
اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم
فى نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه
وقال محمد بن سحنون فى الماسور يسب النبى صلى الله عليه وسلم
فى ايدى العدو يقتل الا ان يعلم سكره او اكراهه وعن ابى محمد بن
ابى زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان فى مثل هذا وافتى

ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء الماء

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله توبته عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله

يقتل

يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره
من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقال سحنون وقال
ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه
قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ
وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان
معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة
وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان
حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن صلى الله عليه وسلم
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه
كان ببابل ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق
يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل و
يلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء

المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم
من عظم حرمة الدم ودرء الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف
ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال صل على النبي محمد فقال له الطالب لا
صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملئكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت
من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج
لا يقتل انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب
في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم
الملئكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على
النبي محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند
غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبه وذهب
الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو
الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا
مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينات عن جملة
الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه
ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل

صاحب

صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان من الانبيا، والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين ● ومايوداليه التاويلات لابد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه ● وحكى عن ابى محمد بن ابى زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائل ولعن الله بنى ادم وذكر انه لم يرد الانبيا، وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جا، به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه فى المسئلة المتقدمة ومثل هذا مايجرى فى كلام سفها، الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولاشك انه يدخل فى مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبيا، ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغى الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب فى ابائه من الانبيا، على علم لقتل وقد يضيق القول فى مثل هذا لو قال لرجل هاشمى لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم ● ولم تكن قرينة فى المسئلتين تقتضى

تخصيص بعض اباء واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم
وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه
ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي
قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه
لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه
فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه
ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله صلى الله عليه وسلم
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على
التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل

وعدم

وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير لقوله
كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذبت
الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم
منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او
كصبر ايوب او قد صبر نبي الله على عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول
المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار
المتجرفين في القول والمتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى
وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد و
داخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه
بديل هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبرئيل فصدر هذا البيت
الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله
بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز يحتمل لوجهين احدهما ان هذه
الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو
منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرئيل وقول الاخر
من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول
حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره ابي بكر بن زيد ون كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان
وانت محمد الى امثال هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها

لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك و
استخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم
منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء
واشد هم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان
المعري بل خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر
وقد اجبنا عنه وعرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملئكة والانبياء نقصا
ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء اوغضا فما وقر
النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حرمة الكرامة
حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل
لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف
قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة
مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة
كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر
فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر
القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين

وتشبيهه

وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم • تنازع الاحمدان الشبه
فاشبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان • وقد انكروا ايضا عليه
قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول
صلى الله عليه وسلم • وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا
المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر
من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم • فقال مالك قد عرض بذكر النبي
صلى الله عليه وسلم • في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل
الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن
عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له كان ابوا
النبي صلى الله عليه وسلم • كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله قال لا تكتب
لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله تعالى
وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس
كانه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر
وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى
التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما

السبّ واقع على المخاطب وفي الادب بالسّوط والسّجن نكال للسّفهاء
قال واما ذاكر مالك خازن النّار فقد جفا الذي ذكره عند ما انكر
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبّس له يد فرهب بعبسته فيشبّهه
القائل على طريق الذمّ لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربّه في فعله فيقول كانّه لله يغضب غضب مالك فيكون اخفّ وما كان ينبغي
له التعرّض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس لعبسته واحتجّ بصفة مالك
كان اشدّ ويعاقب المعاقبة الشّديدة وليس في هذا ذمّ للملك ولو قصد
ذمّه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شابّ معروف بالخير قال لرجل شيئا
فقال له الرجل اسكت فانك امّي فقال الشّاب اليس كان النّبيّ امّيا فشنّع
عليه مقاله وكفّره النّاس واشفق الشّاب ممّا قال واظهر النّدم عليه
فقال ابو الحسن امّا اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنّه مخطئ في استشهاده
بصفة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
امّيا اية له وكون هذا امّيا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله
تعالى فيترك لانّ قوله لا ينتهي الى حدّ القتل وما طريقه الادب فطوع
فاعله بالنّدم عليه يوجب الكفّ عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض
قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمّد بن منصور رحمه الله في رجل
تنقّصه اخر بشيء فقال له انّما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتّى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فافتاه باطالة

سجنه

سبحنه واجماع ادبه ان لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى
بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره
واثرا له عن سواه فهذا ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف
الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة او التعريف بقائله والانكار
والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغى امتثاله ويحمد فاعله
وكذلك ان حكاه فى كتاب او فى مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه ومنه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى لذلك
والمحكى عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او
رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه فى الحقوق وجب على
سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة بما قال ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة
او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى
قلوبهم فيتاكد فى هؤلاء الايجاب بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبحق
شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبى صلى الله
عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا
وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا ممن ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب

فى تاثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم
فى الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابى زيد عن الشاهد
يسمع مثل هذا فى حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدى شهادته قال ان رجا
نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما
شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا فى الباب فليس
التفكه بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره
لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعى بمباح واما الاغراض المتقدمة
فمترددة بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا فى كتابه وكذلك
وقع فى امثاله من احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات
الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل ايضا انكار لبعض هذا على الحارث
بن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث
الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء

والخوض

والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار
ما حكاه اولم يكن عادته اولم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم
يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العود
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال
مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر
والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه
اختلقه ونسبه الى غيره اوكانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك
اوكان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية
اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه
يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر الى قتله ويعجل الى الهاوية امه
وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به
النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا
المتقين المحترزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير

مستبشعة على نحو الوجوه الاول لير وانقمة الله من قائلها واخذة المفترى
عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر
الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو
بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد بروايته
او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم او
يختلف فى جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه
او يذكر مما امتحن به وصبر فى ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه
واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بوس زمنه ومر
عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه
الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف
لا فى ظاهر اللفظ ولا فى مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه
مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى منه فتنته فقد كره
بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله
عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال
صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى

بذلك

بذلك عن موسى صلى الله عليه وسلم • وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج
لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته في القران على طريق المنة عليه والتعريف
بكرامته فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه •
والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه
دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد على صناديد
العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم •
باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملئكة المسومين • ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال
هرقل حين سال ابا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم • هل في ابائه
من ملك ثم قال ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ
اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم •
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه

الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته
العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في
القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم
يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر
وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما
هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان الله من باين امره من امر
غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عاداه
هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات
روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته
زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله وماثره وشرفه كما ذكرناه
فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد
ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي
قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم

السلام

السّلام فى الاحاديث ممّا فى ظاهره اشكال نقتضى امورا لا تليق بهم
بحال وتحتاج الى تاويل وتردّد احتمال فلا يجب ان تحدّث منها الّا
بالصّحيح ولا يروى منها الّا المعلوم الثّابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدّث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتّشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو النّاس الى التحدّث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدّث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت النّاس وافقوه على ترك الحديث
بها وساعدوه على طيّها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكى عن جماعة
من السّلف بل عنهم على الجملة انّهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته
عمل والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرّفاتهم فى حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم يكن فى حقّهم مشكلة ثمّ جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته
الاميّة فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الّا نصّها وصريحها ولا يتحقّق
اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرّقوا فى تاويلها
شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فامّا ما لا يصحّ من هذه
الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شى فى حقّ الله تعالى ولا فى حقّ انبيائه
ولا يتحدّث بها ولا يتكلّف الكلام على معانيها والصّواب طرحها
وترك الشّغل بها الّا ان يذكرها على وجه التّعريف بانّها ضعيفة المقاد
واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابى بكر بن فورك تكلّفه فى
مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة

عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل
ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف اللبس
واشفى للنفس فصل و مما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل
هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله
عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب
حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا
ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على
عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه و
النصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم في مجارى
اعماله واقواله واحواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ و
ادب العبارة ما امكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة
الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه
الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من
العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال
هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض
الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا
تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي

ومواقعة

وموافقة بعض الصفائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصى
او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى فهذا من حق توقيره صلى الله
عليه وسلم وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه فى العبادة ما لم تقل وشنع
عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا فى
ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه صلى الله عليه
وسلم اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشئ او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الامر او يوهنه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان من
البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفى عنه صلى الله عليه وسلم والتنزيه
له فلا حرج فى تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة
ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور فى الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل
هذا وقد كان بعض السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه فى القسم الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة
اي من القران حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه
الكذب وكان يخفض بها صوته اعظاما لربه تعالى واجلالا له واشفاقا
من التشبه بمن كفر به الباب الثانى فى حكم سابه وشانئه ومتنقصه
ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب

وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم ● وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله وصلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج
عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف و ●
جمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم
توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم ●
الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه
حد وجب ان لا يسقطه التوبة كسائر الحدود ● قال الشيخ ابو الحسن
القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل
بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه
وبين الله تعالى فتوبته تنفعه ● وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم ● من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته
عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو
الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور
عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها
بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل المصنف وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله
عليه وسلم ● اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم

لانه

لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه
فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل
واختلف فيه عند ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور
القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس
يلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن
جميع المعائب قطعا وليس من جنس يلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله
عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد
لاحق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله
عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او
يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة
المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته
وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو

الفضل المصنف يريد والله اعلم لان سبّه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الاذاء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السبّ عليه
وكلام شيوخنا هؤلاء مبنيّ على القول بقتله حدّا لا كفرا وهو محتاج الى
تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممّن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرّحوا انّه ردّة قالوا ويستتاب
منها فان تاب نكّل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتدّ مطلقا في هذا الوجه والوجه
الاول اشهر واظهر لما قدّمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره
ردّة فهو يوجب القتل فيه حدّا وانّما نقول ذلك مع فصلين امّا مع انكاره
ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدّا لثبات كلمة الكفر
عليه في حقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتحقيره ما عظّم الله تعالى
من حقّه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوّة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه انّ ذلك كان منه وهلا ومعصية وانّه مقلع عن
ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة وامّا من علم انّه سبّه
معتقدا لاستحلاله فلا شكّ في كفره بذلك وكذلك ان كان سبّه في نفسه

كفرا

كفراً كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مالا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانّا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدّاً لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطّلع على صحة اقلاعه العالم بسرّه وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمّم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلّى الله عليه وسلّم يقتل كافراً بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء واترك مختلف عباراتهم فى الاحتجاج عليها واجز اختلافهم فى الموادثة وغيرها على ترتيبها تتّضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصحّ فالاختلاف فيها على الاختلاف فى توبة المرتدّ اذ لا فرق وقد اختلف السلف فى وجوبها وصورتها ومدّتها فذهب جمهور اهل العلم الى انّ المرتدّ يستتاب وحكى ابن القصّار انّه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر فى الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابى رباح والنخعى والثورى ومالك واصحابه والاوزاعى والشافعى واحمد واسحق واصحاب الرأى وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن فى احدى الروايتين عنه انّه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابى سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو قول الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرء القتل عنه لقوله صلّى الله عليه وسلّم من بدّل دينه فاقتلوه وحكى ايضاً عن عطاء

ان كان ممن ولد فى الاسلام لم يستحب ويستتاب الاسلامى وجمهور
العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك سواء • وروى عن على لا تقتل
المرتدة وتسترق وقال عطاء وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل
النساء فى الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر
والانثى فى ذلك سواء • واما مدتها فمذهب الجمهور • وروى
عن عمر انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو
احد قولى الشافعى وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتى
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس • قال الشيخ ابو محمد بن
ابى زيد يريد فى الاستيناء ثلثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى المرتد
قول عمر يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال
ابو الحسن بن القصار فى تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الرأى
وروى عن ابى بكر الصديق انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال
الشافعى مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزنى وقال الزهرى
يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل • وروى عن على يستتاب
شهرين وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات فى ثلثة ايام
او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة • وفى كتاب محمد عن ابن القاسم •
يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف

على هذا

على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال
مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا
يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام
وفى كتاب ابى الحسن الطابثى يوعظ فى تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف
بالنار قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او
وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب
النبى صلى الله عليه وسلم نبهان الذى ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب كلما رجع وهو قول الشافعى واحمد
وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرابعة وقال اصحاب الراى ان
لم يتب فى الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا و
لم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا
نعلم اوجب احد على المرتد فى المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو مذهب
مالك والشافعى والكوفى فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما
يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل
ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهنا يدرأ عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه
وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة فى الدين والنبز

بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هو منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يكون ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة اخرى مثلها ولا تراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت عداوتهما او جرحتهما مما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك

ويكون

ويكون الشاهدان من اهل التبرز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله
موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي
اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه
الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة
او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا اباحنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل لما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر ويستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله
تعالى وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه وانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على
هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون بكفرهم و
ايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة
اموالهم والقتل فيمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك
سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر
تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من
كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف
فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط

اسلامه قتل لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكامن في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن ذنبه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه فحكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء و قيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاك حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او واحدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن

عمر

عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا
قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمد لم يرسل
الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لاشئ
عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي
او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ تقوله او نحو هذا فيقتل
قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال و
ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان
يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله
عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم
في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم
قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على
قتلنا واخذ اموالنا واذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال
سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز

لنا ذلك فی قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم و يحل لنا دمه و
كما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضی ابو الفضل اعنی المصنف ماذكره ابن سحنون عن نفسه
وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا
فتامله ويدل على انه خلاف ما روی عن المدنيين فی ذلك فحكى ابو المصعب
الزهری قال اتيت بنصرانی قال والذی اصطفى عيسى على محمد فاختلف
علی فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح
على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصرانی قال عيسى خلق
محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصرانی بمصر شهد عليه
انه قال مسكين محمد يخبركم انه فی الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت
الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك اری ان
تضرب عنقه ولكن كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعنی الصمت
قال ابن كنانة فی المبسوط من شتم النبی صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصاری فاری للامام ان يحرقه بالنار حيا وان شاء قتله ثم حرق
جثته وان شاء حرقه بالنار حيا اذا تهافتوا فی سبه ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرنی مالك فكتبت
بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق
بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدی بين يديه فما انكره
ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى

وابن

وابن لبابة فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفى الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد فى النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسى وابن الكاتب وقال ابن الجلاب فى كتابه من سب الله تعالى ورسوله من مسلم وكافر قتل ولا يستتاب • وحكى القاضى ابو محمد فى الذمى يسب روايتين فى درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمى اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله تعالى فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم • او غيره فاوجب على الذمى اذا قذف النبى صلى الله عليه وسلم • ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمة النبى صلى الله عليه وسلم • على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** فى ميراث من قتل بسب النبى صلى الله عليه وسلم • وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء فى ميراث من قتل بسب النبى صلى الله عليه وسلم • فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبى صلى الله عليه وسلم • كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم فى ميراثه

على ما اظهر من اقراره يعنى لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
فى شىء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه
فى ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه
وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا
يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول
الشيخ ابى الحسن فى المجاهر المتمادى بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك فى كتاب ابن سحنون فى
الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من
اصحاب مالك وفى كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى
ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات
عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل
بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد
فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى
عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه
ورثته ربيعة والشافعى وابو ثور وابن ابى ليلى واختلف فيه
عن احمد وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن مسعود وابن

المسيب

المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة ترثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي
الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمن ورثته ورثته
من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها واعترف بذلك واظهر
التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر
للاسلام بانكاره او بتوبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به جماعة
من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل
فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل
من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن
الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل
يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد
هذا معنى قوله واختصاره الباب الثالث في حكم من سب الله
تعالى وملئكته وانبيائه وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم

واذ واجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر
حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط و
في كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب
اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا
ان يكون افتراء على الله بارتداد الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم
يتوبوا قتلوا ولابد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي
حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن
الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره و
اما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسالة
هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم
وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض
لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى
ابراهيم بن الحسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى
وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل

عنه

عنه الا ان القاضى رأى عليه التثقيل فى الحبس والشدة فى الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكى فوجه من قال فى ساب الله تعالى بالاستتابة
انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد
الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان
المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد
اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد
له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا
انتقل من دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد
اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب
مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف فى فصوله **فصل**
فاما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء المفضى
الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفة كمال
فهذا مما اختلف فيه السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه فى ذلك ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا فى المنفرد منهم فاكثر
قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم فتستبين توبتهم

كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك
بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك
في الموطا، وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة
من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا
ذلك او استروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية و
القدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب و
غيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر
واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر
ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وروى عنه
ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
فاشار الى شئ من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله

بنفسه

بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا فى رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفى رواية بشر بن بكر
التنيسى عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضى ابو عبد الله البرنكانى
والقاضى ابو عبد الله التسترى من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله فى اعادة الصلوة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرية واكثر اقوال
السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روى
عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودى ووكيع
وحفص بن غياث وابو اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن عاصم فى اخرين
وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين منهم وفى الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن
حنبل وكذلك قالوا فى الواقفة والشاكة فى هذه الاصول وممن روى
عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم على بن ابى طالب وابن عمر والحسن
البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا
بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن
مات منهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام
عليهم قال اسمعيل القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض
كما قال فى المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد

المحارب انما هو فى الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا فى امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف فى اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم يرا اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم فى وقت ولا غيره قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون فى ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قول مالك فى ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضى ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدى اليه واضطرب قوله فى المسالة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال فى بعض كلامه انهم على راى من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا

الصلوة

الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم هم
من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول
اشياخنا المتقدمين واكثر قولهم ترك التكفير وان الكفر خصلة
واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى وقالوا من اعتقد ان الله
جوهرا والمسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو
كافر وبمثل هذا ذهب ابو الوليد سليمان رحمه الله في اجوبته لابى
محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها
يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير في اهل
التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطاء في
ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها يعنى الشهادة
فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
عز وجل فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح
خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الحديث
الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر
القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الروافض
بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم

من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث فى غير الكفرة على
طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد
مثله فى الربوا وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله فى الخوارج
هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتلى تحت اديم
السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم
قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من
يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على
المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث نفسه يقتلون
اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل
وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول
خالد فى الحديث دعنى اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلى
فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القران لا يجاوز
حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله
عليه وسلم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم
لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله صلى الله عليه
وسلم سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام
بشئ اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون

معاينه

معانيه بقلوبهم ولا تنشرح لصدورهم ولا تعمل به جوارحهم و
عارضوهم بقوله وتمادى فى الفوق وهذا يقتضى التشكك
فى حاله ● وان احتجوا بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ● يقول يخرج فى هذه
الامة ولم يقل من هذه الامة وبتحرير ابى سعيد الرواية و
اتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفى لا تقتضى تصريحا
بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض وكونهم
من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر وعلى وابى امامة وغيرهم
فى هذا الحديث يخرج من امتى وسيكون من امتى وحروف
المعانى مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفى ولا على
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضى الله عنه اجاد ماشاء فى
التنبيه الذى نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعانى واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها
وتوقيتهم فى الرواية فهذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله تعالى الجهل به لا يكفر
احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها
لله بخلقه وتجويرا له فى فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من
اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين

ان كان ممّن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الّا ان يكون ممّن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبرى الى تصويب اقوال المجتهدين فى اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق فى ذلك فرق الامّة اذ اجمعوا سواه على انّ الحقّ فى اصول الدين فى واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانّما الخلاف فى تكفيره وقد حكى القاضى ابو بكر المالكى مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهانى قال وحكى قوم عنهما انّهما قالا ذلك فى كلّ من علم الله من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحقّ من اهل ملّتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فى انّ كثيرا من العامة والنّساء والبله ومقلّدة النّصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد حكى الغزالى قريبا من هذا المنحى فى كتاب التفرقة وقائل هذا كلّه كافر بالاجماع على كفر من لم يكفّر احدا من النّصارى واليهود وكلّ من فارق دين المسلمين او وقف فى تكفيرهما او شكّ قال القاضى ابو بكر لانّ التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف فى ذلك كذّب النصّ والتوقيف او شكّ فيه والتكذيب والشكّ فيه لا يقع الّا من كافر فصل فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم انّ تحقيق هذا الفصل وكشف اللّبس فيه

مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البيّن فى هذا انّ كلّ مقالة
صرحت بنفى الرّبوبيّة او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع
الله فهو كفر كمقالة الدّهريّة وسائر فرق الالهيّين من الرّياضيّة
والمانويّة واشباههم من الصّابئين والنّصارى والمجوس والّذين
اشركوا بعبادة الاوثان او الملئكة او الشّياطين او الشّمس او النّجوم
او النّار او احد غير الله من مشركى العرب واهل الهند والصّين
والسّودان وغيرهم ممّن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتّناسخ من الباطنيّة والطّيّارة من الرّوافض وكذلك
من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيّته ولكنّه اعتقد انّه غير حىّ
او غير قديم او انّه محدث او مصوّر او ادّعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انّه متولّد من شئ او كائن عنه او انّ معه فى الازل شيئا
قديما غيره او انّ ثمّ صانعا للعالم سواه او مدبّرا غيره فذلك كلّه كفر
باجماع المسلمين كقول الالهيّين من الفلاسفة والمنجّمين والطّبائعيّين
وكذلك من ادّعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله
فى احد الاشخاص كقول بعض المتصوّفة والباطنيّة والنّصارى
والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او
شكّ فى ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدّهريّة او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد فى الاشخاص وتعذيبها
او تنعيمها فيها بحسب زكاتها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهيّة

والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله تعالى عليهم
بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث
اليه جبرئيل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من
الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا فى كفر اخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى فى ذلك
المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض
الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان
هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار
عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله
عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك فى صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او
ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع

وكذلك

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء فى ان كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ اذ ذلك يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحى وليس الذى كان بمكة والحجاز وليس بقرشى لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفى له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم اوبعده كالعيسوية من اليهود والقائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه فى النبوة والحجة وكالبزيغية و البيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه اوجوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبى صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين ولا نبى

بعده واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم النبيين
وانه ارسل للخلق كافة للناس واجتمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك
فى كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع
الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب اونص حديث مجمعا على نقله
مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا
نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل اووقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل
مذهب سواه فهو كافر باظهاره وما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير
جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد
النبى صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم
ويطلب حقه فى التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا
الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على
زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك فى احد قوليه بقتل من كفر
الصحابة ثم كفروا من وجوه اخر بسبهم النبى صلى الله عليه وسلم
على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى على وهو يعلم انه يكفر بعده
على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك يكفر
بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا

بالاسلام

بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او الشمس او القمر
والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من
شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا
من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح صاحبها بالاسلام
وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
والزنا او شيئا مما حرم بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب
الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله
علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلم اذ لم يرد في القران نص جلي والخبر به عن الرسول
صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من
الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة
او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران

واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لاندري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لامرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كلها كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم

وفعله

وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم
الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين بكرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسمعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله
عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر
الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا
كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من
القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن
جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح
النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمتين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله
عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة
على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان
المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير

ظاهره وانها الذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة • وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحلل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة افضل من الانبياء • فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير و البلاد التى لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكاره غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابى بكر وعمر • او قتل عثمان وخلافة على مما علم بالنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة على من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين وهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم • من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع

بتكفير

بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء، وذهب اخرون
الى التوقف فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام
بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للاجماع ● قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر
بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه
لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون هو الجهل بالله فان
عصى بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك
فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثانى
ان ياتى فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان
ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس بالتزام
الزنار مع اصحابها فى اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل ●
لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا
بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة
من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مصرحا فى ذلك كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى
عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من

قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من
جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم
حكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو بكر القاضي ابو
الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم
الايمان واليه رجع القاضي قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق واحتج
هؤلاء بحديث من اسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منهم
التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية لعلي
اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة
على احيائه بل في نفس البعث لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم
به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله
بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير
عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل هذا في زمن الفترة وحيث
ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة

في كلامهم

فى كلامهم كقوله تعالى لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى وقوله تعالى وَاِنَّا اَوْ
اِيَّاكُمْ لَعَلٰى هُدًى اَوْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ فامّا من اثبت الوصف ونفى
الصّفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلّم ولكن لا كلام له
وهكذا فى سائر الصّفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل
لما يؤدّيه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفّره لانّه اذا نفى العلم
انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الّا من له علم فكانّهم صرّحوا عنده
بما ادّى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التّاويل من المشبّهة
والقدريّة وغيرهم ومن لم يواخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب
مذهبهم لم يرا كفارهم قال لانّهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن نتنفى من القول بالمآل الّذى الزمتموه لنا
ونعتقد نحن وانتم انّه كفر بل نقول انّ قولنا لا يؤول اليه على ما اصّلناه
فعلى هذين الماخذين اختلف النّاس فى اكفار من اهل التّاويل واذا
فهمته اتّضح لك الموجب لاختلاف النّاس فى ذلك والصواب ترك
اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام
عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصّلوة
عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلّظ
عليهم بوجيع الادب وشديد الزّجر والهجر حتّى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصّدر الاوّل فيهم فقد كان نشاء على زمن الصّحابة
وبعدهم فى التّابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى

الخوارج والاعتزال فيما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا
لكنهم هجر وهم وادّبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق
وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في
اكفار المتاولين منها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل
قبل من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله
تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى فاما الذمي فروي عن
عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه في
دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك
في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد
وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال
في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه
عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا
من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي

ذكر

ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن
ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به الله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو القول
الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي
كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ذلك وان لا يسمعونا شيئا من
ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي
اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه
خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين
لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم
من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية
او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل

توبته على الشهود وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيحتمه لكنه لايسلم
من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله
عن قوله وله عن العودة لكفره اوجهله الامن تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذى لانامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
فى ذلك حكم الصاحى • واما المجنون والمعتوه فاعلم انه قال من
ذلك فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلانظر فيه وما فعله من ذلك
فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى
ينكف عنه كما تؤدب على سوء الخلق حتى تراضى وقد حرق على بن
ابى طالب رضى الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن
مروان المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك
باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك
من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضى
قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية
والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقيد وكان على نحو
مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد
يومئذ ابو الحسين بن ابى عمر المالكى • وقال ابن عبد الحكم

فى المبسوط

وقال

في المبسوط من تنبأ قتل ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله تعالى
خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في
كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او
اعلنه وهو كالمرتد وقال سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي
تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب
والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه
زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي
في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب
مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** فاما من تكلم من سقط
القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي
الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما
لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه تعالى وقد
افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده

وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكا ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من خطاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وازدراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل المصنف وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن

ذكره

ذكره ولولا انا قصدنا نقض مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما
يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول • واما ما ورد في
هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب •
رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا • انزل علينا
الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف
تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العود الى مثله • قال ابو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول والله عز وجل منزه عن هذه الامور
وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض
من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته
وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه
تعالى ان يمتهن في غير قربة • وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا
لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في
هذا الباب في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم • على الوجوه التي
فصلناها والموفق الله عز وجل **فصل** وحكم من سب سائر انبياء الله
تعالى وملئكته عليهم السلام واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او
انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما

قدمناه قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ
أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ الآية
وقال تعالى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الآية
الى قوله لا نفرق بين احد منهم . وقال تعالى كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ • قال مالك في كتاب
ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
واصبغ وسحنون في من شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصه قتل
ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى
سحنون عن ابن القاسم • من سب الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف
في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض
اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من
الملئكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل
اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب رضي الله عنه
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول
الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي اشبه
بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم
من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه
فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كانه

وجه

وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي
ابو الفضل المصنف رحمه الله وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه
على جملة الملئكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من
الملئكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع مثل جبرئل
وميكائل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القران من الملئكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائل
واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع
على كونه من الملئكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملئكة والخضر
ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه
نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك
الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول
فيه لاسيما من عرف صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت له نبوته
واما انكار نبوتهم او انكار كون الاخر منهم من الملئكة فان كان المتكلم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج عليه لاختلاف العلماء في ذلك وان كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس
لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا فيما ليس

تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران
او بالمصحف او بشئ منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب
به او بشئ منه او كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه
او نفى ما اثبته على دعوى علم منه بذلك او شك فى شئ من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا
ابن عبد البر ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو
داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن
عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال المراء فى القران كفر تاول بمعنى الشك وبمعنى
الجدال وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او
كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القران المتلو فى جميع اقطار الارض المكتوب فى
المصحف بايدى المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب
العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه

حق

حتى وانّ من نقص منه حرفا واحدا قاصدا لذلك او بدّل له بحرف
اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى
وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه
كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها
بالفرية لانه خالف القران • ومن خالف القران قتل اى لانه
كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما • يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدى وقال محمد بن سحنون
فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب
وكذلك كل من كذّب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على
من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما • وشهد اخر عليه انه قال ان الله
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبى صلى الله
عليه وسلم • وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا
قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا
فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر
به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به
كله ومن كفر به قتل • وقال اصبغ بن الفرج من كذّب ببعض القران
فقد كذّب به كله ومن كذّب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله
وقد سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الاخر

لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه سأله عن
القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة يحتمل التاويل اذ
لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق
فقهاء بغداذ على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين
المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا
اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وغيره وافتى محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن
قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل وسب آل بيته
وازواجه واصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون
فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل العدل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا
يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن
زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله الله فی اصحابی الله الله فی اصحابی لا تتخذوهم غرضا بعدی
فمن احبهم فبحبی احبهم ومن ابغضهم فببغضی ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانی ومن اذانی فقد اذی الله ومن اذی الله یوشك ان
یاخذه • وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم • لا تسبوا
اصحابی فمن سبهم فعلیه لعنة الله والملئكة والناس اجمعین •
لا یقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال صلی الله علیه وسلم لا تسبوا
اصحابی فانه یجیء قوم فی اخر الزمان یسبون اصحابی فلا تصلوا •
علیهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلی الله علیه وسلم • من سب اصحابی فاضربوه
وقد اعلم النبی صلی الله علیه وسلم • ان سبهم واذاهم یوذیه اذ
النبی صلی الله علیه وسلم • حرام فقال صلی الله علیه وسلم •
لا توذونی فی اصحابی ومن اذاهم فقد اذانی • وقال صلی الله
علیه وسلم • لا توذونی فی عائشة وقال صلی الله علیه وسلم • فی
فاطمة رضی الله عنها هی بضعة منی یوذینی ما اذاها وقد
اختلف العلماء فی هذا فمشهور مذهب مالك فی ذلك الاجتهاد
والادب الموجع وقال مالك رحمه الله من شتم النبی صلی الله علیه
وسلم • قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ایضا من شتم احدا من اصحاب
النبی صلی الله علیه وسلم • ابا بكر او عمر او عثمان او معاویة او
عمرو بن العاص رضی الله عنهم فان قال كانوا علی ضلال وكفر

قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا و
قال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان رضي الله عنه
والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى ذلك بغض ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
حبسه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه
وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي
زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله
عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر
رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له
لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان رضي الله
عنه لان الله تعالى يقول يَعِظُكُمُ اللهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ اَبَدًا اِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ في آيٍ كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة فقال
وَلَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا اَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ
عَظِيمٌ سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته

من السوء

من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله
عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه
وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه بسبه واذاه باذاه
وكان حكم موذيه تعالى القتل كان حكم موذى نبيه صلى الله عليه وسلم
كذلك كما قدمناه وشتم رجل وعائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم
الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا
فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه للحجامين وروى عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم
المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة
لكفيتكموه قال مالك رحمه الله من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلثة
اصناف فقال لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الآية ثم قال وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ الآية وهؤلاء الانصار ثم قال وَالَّذِينَ جَاؤُا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض
اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة

لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سبّ اصحابى فاجلدوه وقال
ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حدّ حدّ الفرية لانه سبّ له فان كان
احد من ولد هذا الصحابى حيّاً قام بما يجب له والّا فمن قام به من
المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة
لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه
كان ولى القيام به قال ومن سبّ غير عائشة من ازواج النبى صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سبّ النبى صلى الله عليه وسلم
بسبّ حليلته والآخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفترى قال وبالاول
اقول • وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى آل بيت النبى صلى الله
عليه وسلم يضرب ضرباً وجيعًا ويشهر ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته
لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم • وافتى ابو المطرف
الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت
بنت ابى بكر الصدّيق ما حلّفت الا بالنهار وصوّب قوله بعض المتّسمين
بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابى بكر رضى الله عنه فى مثل هذا
يوجب عليه الضربَ الشديدَ والسجنَ الطويلَ والفقيه الذى صوّبَ
قولَه هو اَحقُّ باسم الفِسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر
فى ذلك ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض
فى الله تعالى • وقال ابو عمران فى رجل قال لو شهد علىّ ابو بكر ان كان
فى مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه وان كان اراد غير

هذا

279

هذا فيضرب ضربًا يبلغ به حَدَّ الموتِ وذكرها رواية • قال القاضي
ابو الفضل وفقه الله تعالى هنا انتهى القول بنا فيما حررناه • وانجز
الغرض الذي انتحيناه • واستوفى الشرط الذي شرطناه • مما أَرْجُو
ان في كل قِسم منه للمريد مَقنع • وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع •
وقد سَفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع • وكرعت في
مَشارِبَ من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مَشرع •
وأَودعته غير ما فصل ودرت لو وجدت من بسط قبل الكلام
فيه • او مقتدى يفيدنيه عن كتابه اوفيه • لاكتفي بما ارويه عمّا
اروّيه • والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره • وأَن يَهَبَ لنا ذلك بجميل
كرمه وعفوه • لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه •
واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله • واعملنا فيه خواطرنا من ابراز
خَصَائِصِهِ ووَسَائِلِه • ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كَرِيم عرضه • ويجعلنا ممن لا يُذَادُ إذا اذِيدَ المبدل عَن حَوضِهِ •
ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه • سَبَبًا يصلنا باسبابه •
وذخيرةً نجدها يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا نحوز
بها رِضَاه وجزيلَ ثَوَابِهِ • ويخصنا بخصّيصى زمرة نبينا وجماعته •
ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته •
ونحمده تعالى على ما هدى اليه مِن جَمْعِهِ وأَلْهَمَ • وفتح البصيرة

لِدَرْكِ حقايق ما اود عناه وفهّم • ولنَستعيذه جلّ اسمه مِن
دعاء لا يُسمع • وعلم لا ينفع • وعمل لا يرفع • فهو الجواد الذى
لا يخيب مَن امّله • ولا ينتصر مَن خَذله • ولا يرد دعوة القاصدين •
ولا يصلح عمل المفسدين • وهو حسبنا ونعم الوكيل • وَصَلَوَاتُهُ
على نبينا محمد خاتم النبيّين • وآله وصحبه اجمعين • وسلم تسليما
كثيرًا الى يوم الدين • ورضى الله عن الصحابة
اجمعين • والحمد لله ربّ
العالمين •

